**الوحدة الاولى**

**تعريف علوم القرآن ومراحل تدوينه**

العلوم جمع علم ، والعلم نقيض الجهل ، وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة ، ويراد به إدراك الشيء بحقيقته أو اليقين ، أو هو نور يقذفه الله في القلب .

ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة ، مثل علم النحو ، وعلم الطب ، وعلم الكيمياء .

ويجمع على ( علوم ) ، وقد تسمى به المباحث التي تتناول موضوعاً واحداً مثل : علوم العربية ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم التجريبية .

تعريف القرآن لغةً : اختلف العلماء – رحمهم الله تعالى – في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم فليس بفعل ولا حرف ، وهذا الاسم شأنه شأن الأسماء في العربية إما أن يكون جامداً أو مشتقاً .

فذهب جماعة من العلماء الى أنه اسم جامد غير مهموز قال الشافعي : " وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول : القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآناً ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ولا يهمز القرآن ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ, وبه قرأ ابن كثير , وذهبت طائفة الى أن الاسم مشتق ثم افترقوا الى فرقتين :

فقالت طائفة منهم : إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقاً من مادة ( ق ر ن) ثم اختلفوا:

1 – فقالت طائفة منهم الأشعري, إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه ومنه قولهم : قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما ، ومنه سُمِّي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران .

2 – وقالت طائفة منهم الفَرَّاء ,إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضاً, وقالت طائفة منهم : إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضاً إلى فرقتين :

1 – فقالت طائفة منهم اللحياني ,إن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا ، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر ، ومنه قوله تعالى ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ القيامة : 17 / 18 ، أي : قراءته .

2 – وقالت طائفة منهم الزجاج : إنه وصف على وزن فُعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه : قرأ الماءَ في الحوض إذا جمعه .

قال ابن الأثير : وسمي القرآن قرآنا ، لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض ، وهو مصدر كالغفران والكفران .

ولعل الراجح هو ما ذهب اليه اللحياني والزجاج أن الهمزة أصلية وأن لفظ القرآن مهموز وصف أو مصدر ، وأما ترك الهمزة فيه في بعض القراءات فهو من باب التخفيف ونقل حركتها إلى ما قبلها ، وهو كثير شائع ، ثم نقل من المصدرية أو الوصفية وجعل علماً كما ذهب إليه محققوا الأصوليين .

القرآن اصطلاحاً : وللعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ، ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه )كلام الله المنزل على محمد المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتوات المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخرسورة الناس) .

علوم القرآن : يُعَرَّفُ علوم القرآن كفن مدون بأنه :( هو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله ، وجمعه ، وقراءاته ، وتفسيره ، وناسخه ومنسوخه ، واسباب نزوله ، ومكيه ومدنيه ونحو ذلك) ,ويسمى هذا العلم بـ ( أصول التفسير ) لأنه يتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها .

موضوعه :هو القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف.

فضله وشرفه ومكانته :علوم القرآن الكريم من أفضل العلوم وأشرفها وأسماها ، كما قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى - :( لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم ، كان الفهم لمعانيه أوفَى الفهوم ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم ).

**فائدة علوم القرآن الكريم :**

1. تيسير تفسير القرآن الكريم ، فهي مفتاح باب التفسير ،ولا يصح لاحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن.
2. معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم ، وعنايتهم الكبرى به وبعلومه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل .
3. التسليح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام ، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه.
4. الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم .

**المراحل التي مر بها التدوين في علوم القرآن:**

المرحلة الأولى : علوم القرآن قبل عصر تدوين العلوم : يمكن للباحث أن يجد بدايات علوم القرآن في عصر النبوة متمثلة بالملاحظات والأحاديث التي تلقاه الصحابة عن رسول الله المتصلة بالقرآن الكريم ، فمن سؤال الصحابة النبي عن كيفية تلقيه القرآن بدأت المباحث المتعلقة بنزول القرآن ، ومن قراءته على أصحابه وحثهم على تلاوته وحفظه نشأت المباحث الخاصة بالقراءات القرآنية ، ومن أمره كُتَّاب الوحي بكتابة ما ينزل من القرآن تأكدت سُنَّة كتابة القرآن وجمعه في الصحف ، ونشات من ذلك المباحث المتعلقة بكتابته ورسمه ، ومن بيانهِ لمعنى عددٍ من آيات والكلمات القرآنية حين أشكل فَهْمُها على بعض الصحابة نشأت المباحث المتعلقة بفهم القرآن وتفسيره . وتجمعت تلك الملاحظات لدى علماء الصحابة ، واختزنته ذاكرتهم ، ونقلوها إلى تلامذتهم من التابعين ، لكنهم لم يدوِّنوها تدويناً منظماً ، لأن العلوم لم تكن قد دونت في عصرهم ، وكان القرآن الكريم أول كتاب مدوَّون عرفته الأمة ، وحرصوا في الجيل الأول ألاَّ يظهر بجانبه كتاب آخر ، لكن الضرورة أملت على علماء الأمة من التابعين وتابعيهم تدوين العلوم ، وكان نصيب علوم القرآن من جهودهم كبيراً.

المرحلة الثانية : علوم القرآن في عصر التدوين : يمكن القول إن تدوين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن وغيرها قد بدأ في أواخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني ، وأن القرن الثاني لم يَنْقَضِ إلا ومعظم العلوم قد دوِّنت وظهرت فيها المؤلفات ، ومن أوائل الكتب المؤلفة في علوم القرآن كتاب ( التفسير ) لعبدالله بن عباس ( ت 68هـ ) الذي رواه تلميذه مجاهد بن جبر المكي ( ت 104هـ ) ، ومنها كتاب في هجاء ( رسم ) المصاحف لعبدالله بن عامر اليحصبي الدمشقي ( ت 118هـ ) ، وكتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء ( ت 154هـ ) ، ثم تتابع التأليف وكثر في علوم القرآن , ويقدَّم ابن النديم صورة واضحة في كتابه ( الفهرست ) عن حركة التاليف في علوم القرآن ، حتى سنة 377هـ وهي سنة تأليفه الكتاب ، حيث ذكر أكثر من 250 كتباً في موضوعات متعددة من علوم القرآن , وتتميز هذه المرحلة بأن لكل علم من علوم القرآن كتباً خاصة به ، فالكتاب الواحد لا يتناول إلا مباحث علم واحد فلم تكن المؤلفات الجامعة قد ظهرت بعد .

المرحلة الثالثة : مرحلة المؤلفات الجامعة : خصص ابن النديم الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه الفهرست لعلوم القرآن ، وقال في مطلعه :(الفن الثالث في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأسماء الكتب المصنفة في علومه وأخبار القراء وأسماء رواتهم ),وما فعله ابن النديم هنا يمثل بداية اتجاه جديد للتأليف في علوم القرآن يتمثل بجمع خلاصة لعلوم القرآن كافة في مكان واحد ، بعد أن كانت كتب علوم القرآن يختص كل كتاب منها بمباحث علم واحد ، واشهر الكتب التي اتبعت هذا المنهج :

1. كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، تأليف ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ ).
2. جمال القراء وكمال الإقراء ، تأليف علم الدين السخاوي ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد (ت 643هـ ).
3. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامه المقدسي ، ابو القاسم عبدالرحمن بن اسماعيل (ت 665هـ ).
4. البرهان في علوم القرآن ، تأليف بدر الدين الزركشي ، محمد بن عبدالله (ت 794هـ ).
5. الإتقان في علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر( 911هـ)

وكتاب الإتقان هو أكبر كتاب في علوم القرآن ، جمع فيه السيوطي خلاصة ثمانين مبحثاً من مباحث علوم القرآن ، استخلصها من المؤلفات السابقة له وكان خاتمة للمؤلفات الجامعة في العصور المتقدمة .

المرحلة الرابعة : علوم القرآن في العصر الحديث : عاد العلماء إلى التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث وتنوعت اتجاهات التأليف عندهم ، فمنهم من اتبع منهج المؤلفات الجامعة ، مثل الشيخ طاهر الجزائري ( ت 1920م ) في كتابه ( التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ) ، الذي اختصر فيه بعض مباحث ( الاتقان ) للسيوطي ، والشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ( ت 1948م ) في كتابه ( مناهل العرفان في علوم القرآن ) ، ونحا هذا المنحى الدكتور صبحي الصالح في كتابه ( مباحث في علوم القرآن ) وغير هؤلاء كثير, ومنهم من ألف في علم واحد من علوم القرآن أو قضية من قضايا تأريخ القرآن ، مثل كتاب ( الظاهرة القرآنية ) لمالك بن نبي ، وكتاب ( النبأ العظيم ) للدكتور محمد عبدالله دراز ، وكتاب ( النسخ في القرآن ) للدكتور مصطفى زيد ، وكتاب ( الإعجاز البياني للقرآن ) للدكتورة عائشة عبدالرحمن ، وكتاب ( التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ) للأستاذ حنفي أحمد ، وغيرها كثير أيضاً ,وكان للمستشرقين دور في الدراسات الحديثة عن القرآن وعلومه ، لكن أكثر تلك الدراسات كانت تنطلق من نظرة يشوبها التعصب ، وأشهر ما كتبوه كتاب ( تاريخ القرآن ) للمستشرق الالماني تيودور نولدكه ، الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1860م ، والذي قال عنه المستشرق آثر جفري : (وهو آن أساس كل بحث في علوم القرآن في أوربا)، وكتاب ( مذاهب التفسير الإسلامي ) للمستشرق المجري الأصل جولدتسهير ( ت 1920م ) وكتاب ( القرآن ، نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، وتأثيره ) للمستشرق الفرنسي بلاشير , ومن الكتب التي كتبها باحث غربي واتسمت بالموضوعية الى حد كبير ، كتاب ( التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ) للكاتب الفرنسي موريس بوكاي ، الذي أراد في هذا الكتاب أختصار الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة ، والذي ختمه بقوله :( وبالنظر الى حال المعارف في عصر محمد ، لا نستطيع أن نفهم بأن كثيراً من الأخبار القرآنية التي لها سمة علمية يمكن أن تكون عمل إنسان ، ولذلك فإن المشروع ليس بأن يعتبر القرآن تعبيراً لوحي فقط ، بل بأن يعطي مركزاً ممتازاً لما يتمتع به من الأصالة الفريدة ولوجود أخبار علمية لديه ظهرت كتحد للتفسير الإنساني .

إن التأليف في علوم القرآن في اتجاهيه العام والخاص لم ينقطع منذ بدئه الى زماننا ، وهو يعكس مقدار عناية الأمة بالقران الكريم ، والحاجة الدائمة الى مؤلفات توضح تأريخ النص القرآني ، وتكشف عن وجوه إعجازه ، وتبين ما يتضمنه من الحكمة ومعالم الهداية التي تتطلع اليها البشرية أفراداً وجماعات في جميع العصور.

الوحدة الثانية

الوحي

الوحي لغةً : الاعلام الخفي السريع ، او الاعلام في خفاء ويطلق على الإلهام الفطري والغريزي والإشارة السريعة.

الوحي اصطلاحا :- اختلف العلماء في تعريف الوحي ، فمنهم من يعرفه فيقول : كلام الله تعالى المنزل على أحد انبيائه ، وقيل : هو ما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع ,ومنهم من يقول : هو إعلام الله لأحد أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه .

أنواع الوحي بالمعنى الشرعي :

1 – ما يكون مناماً : وهو اول مراتب الوحي كما جاء في حديث عائشة – رضي الله عنها - :( أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة – وعند مسلم الصادقة – في النوم وكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ),وليست الرؤيا خاصة بالفترة الأولى من الوحي ، بل وقعت بعد ذلك كما قال تعالى : ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤﭼ الفتح / 27 , ووقع الوحي بالمنام لإبراهيم كما جاء في القرآن عنه قوله : ﭽ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼالصافات /102-105

ومبادرة ابراهيم للامتثال وقول اسماعيل ﰋ ﰌ ﰍ وقوله تعالى ﭚ ﭛ ﭜ دليل قاطع على أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي ، ، وأمر من الله سبحانه لهم عليهم السلام , وفي ابتداء النبي من الوحي بالرؤيا الصالحة في المنام تهيئة واستعداد لتلقي الوحي في اليقظة ، ويدل على هذا حديث علقمة بن قيس صاحب عبدالله بن مسعود قال :(إن أول ما يؤتي به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ، ثم ينزل الوحي في اليقظة),ولم ينزل من القرآن شيء عن طريق الوحي بالمنام ، وقد ظن بعضهم أن سورة الكوثر نزلت في المنام مستدلاً بحديث أنس بن مالك بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءه ثم رفع رأسه مبتسماً ، فقلنا : ما اضحكك يا رسول الله ، قال :(أنزلت عليه آنفاً سورة فقرأ ( بسم الله الرحمن الرحيم , انا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك هو البتر .... الحديث), والصحيح أن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم فقد حكي السيوطي عن الرافعي قوله :(وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ، ويقاال لها : بُرَحاء الوحي ,و قلت : - القائل هو السيوطي - : الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه ، وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه . ونقل القسطلاني عن أمالي الرافعي قوله )الأشبه أن القرآن نزل كله يقظه). وبهذا يظهر أنه لم ينزل قرآن على الرسول في المنام والله أعلم .

2 – ما كان مكالمة بين العبد وربه, قال تعالىﭽ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋﰌ ﰍ ﰎ ﰏﭼالشورى/ 51 , ومن هذا النوع تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى : ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼالنساء / 164,وقوله سبحانه ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الاعراف / 143,ومنه تكليم الله لنبينا محمد في المعراج حيث قال :( فأوحى الله إلي ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة).

3 – ما يكون إلهاماً : يقذفه الله في قلب نبيه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً ولا يجد فيه شكاً ، ومنه حديث ابن مسعود - أن رسول الله قال :(إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها ، ألا فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب).

4 – ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل : وهذا النوع من اشهر الأنواع وأكثرها ، وهو المصطلح عليه بـ ( الوحي الجلي ) ، ووحي القرآن كله من هذا القبيل ،ولم ينزل شيء من القرآن على الرسول بغير هذا النوع كالإلهام أو المنام أو التكلم بلا واسطة ، يدل على هذا قوله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼالشعراء /, وقوله سبحانه ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﭼ النحل / 102 . والوحي بجميع أنواعه بالمعنى الشرعي يصحبه علم يقيني ضروري من النبي بأن ما ألقي إليه حق من عند الله ، ليس من خطرات النفس ، ولا وسوسة الشياطين ، وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقامات ، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش .

وقد ذكرت هذه الأقسام الأربعة في قوله تعالى : ﭽ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﭼالشورى / 51 .

كيفية وحي الملك إلى الرسول :

الوحي يقوم على اتصال بين جبريل وهو مَلَك وبين الرسول وهو ( بَشَر ) ، وحين يكون حديث بين اثنين عربي وعجمي – مثلاً – فإن التفاهم بينهما يحتاج إلى أن يتعلم أحدهما لغة الآخر ، والوحي اتصال بين ( مَلَك ) و ( بَشَر ) فالامر يحتاج الى غلبة البشرية على الملك فيفهم البشرُ كلامه أو غلبة الروحانية على البشر فيسهل على الملك تبليغه , وقد أشار الى هذا المعنى ابن حجر – رحمه الله – تعالى حيث قال :(إن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع ، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني),وقال الزركشي في البرهان ، والسيوطي في الاتقان : (وفي التنزيل طريقان : احدهما : أن النبي انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل ، والثاني : أن الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ، والأول اصعب الحالين), ووصف ابن خلدون الحالة الأولى بأنها انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانية ، والحالة الأخرى عكسها لأنها انتقال الملك من الروحانية المحضة الى البشرية الجسمانية.

وبهذا يتبين أن وحي الملك جبريل الى الرسول يكون بإحدى حالتين: -

الحالة الأولى : أن يأتيه مثل صلصلة الجرس.

الحالة الثانية : في صورة رجل : أن يأتي جبريل الى الرسول في صورة رجل كدحية الكلبي أو أعرابي مثلاً فيكلمه كما يكلمه البشر وقد ورد ذكر هاتين الحالتين في الحديث الذي روته عائشة – رضي الله عنها – أن الحارث بن هشام سأل رسول الله : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله :(أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني فأعي ما يقول),قالت عائشة – رضي الله عنها - : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

الوحدة الثالثة

نزول القرأن

النزول لغة:-الحلول يقال نزل فلان بالمدينة أي حل بها,والمتعدي منه معناه الأحلال يقال أنزلته بين القوم أي احللته بهم , قال تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ المؤمنون: ٢٩ , ويطلق النزول ايضا على أنحدار الشيء من علو الى سفل يقال: نزل فلان من الجبل والمتعدي منه معناه التحريك من علو الى أسفل ومنه قوله تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼالبقرة: ٢٢,وكلا المعنيين اللغويين لا يليقان بنزول القرآن على وجه الحقيقة لأقتضائهما الجسمية والمكانية والانتقال والقرآن ليس جسما حتى يحل في مكان أو ينحدر من علو الى أسفل وعلى هذا لا بد من حمل اللفظ على المعنى المجازي وليكن المعنى المجازي لأنزال القران هو (الأعلام ).

أ – تنزلات القرآن الكريم :

للقرآن الكريم نزولان :

الأول : تنزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ودليله قول الله تعالى : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼالدخان / 3. وقوله تعالى :ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼالقدر/ 1 وقوله تعالى : ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ البقرة: / 185 , وأخرج النسائي والحاكم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : فُصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي , وأخرج النسائي والحاكم من طريق داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : انزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، ثم قرأ : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الاسراء / 105-106

الثاني : تنزل القرآن من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب النبي بواسطة جبريل منجماً ، قال الله تعالى : ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الشعراء / 193- 195 .

ب – نزل القرآن منجماً :

تتابع نزول القرآن منجماً ، فكانت تنزل الآية أو الآيتان أو الآيات في أوقات مختلفة ، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى : ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الاسراء / 106 ,ويضاف الى هذا الدليل القرآني الصريح ، أنه قد ثبت ثبوتاً قاطعاً في السنة والسيرة النبوية أن القرآن لم ينزل على رسول الله جملة واحدة ، وإنما نزل مفرقاً خلال مدة بعثته المباركة والتي قدرت بثلاثة وعشرين عاماً تقريباً ، قال السيوطي في ( الإتقان ) : الذي استقرئ من الاحاديث الصحيحة وغيرها : أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة ، خمس آيات وعشراً ، وأكثر وأقل ، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة ,وصحَّ نزول عشر آيات من أول المؤمنون جملة ,وصحَّ نزول ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ النساء / 95 . وحدها ,وهي بعض آية , وكان هذا التنجيم في نزول القرآن سبباً في اعتراض اليهود والمشركين وتساؤلهم لماذا لم ينزل القرآن كما نزلت التوراة جملة واحدة ، وقد أنزل الله عز وجل آية كريمة تسجل هذا الاعتراض وترد عليه وهي قوله تعالى : ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﭼالفرقان / 32 .

حِكَمُ نزول القرآن منجماً :

نستطيع أن نتعرف على حكم نزول القرآن منجماً من الآيتين الكريمتين :

ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼالاسراء / 106 . و ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﭼ الفرقان / 32 . اللتين ورد فيهما الرد على اعتراض المشركين واليهود بالحجة الدامغة ، كما أن هناك أسراراً لهذا التنجيم تُدرك بالعقل والاجتهاد ، وهذه الحكم والأسرار هي :

1 – تثبيت فؤاد النبي : وهذا ما صرحت به الآية ﭽ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ كان النبي بحاجة لهذا التثبيت وهو يواجه من الناس القسوة والنفور ، ويجد من الكثيرين في مكة الغلظة والجفاء والاصرار على الكفر ، مع رغبته الصادقة في هدايتهم الى الحق ، فكان الوحي يتنزل على رسول الله بين وقت وآخر فيشحذ من همته ويزيد من صبره وتحمله ، بل كان ينزل القرآن في أحلك الأوقات وأقسى الحالات شدة ، وإذا بالآيات تدعو رسول الله الى متابعة الطريق بكل صبر وثبات ، وتقص عليه ما لقي الانبياء من أتباعهم من قسوة وعناد ، قال تعالى : ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ الانعام / 33 – 34 .

قال أبو شامة : (فإن قيل : ما السر في نزول القرآن منجماً ؟ وهلَّا أُنزل كسائر الكتب جملة ؟ قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى ﭽ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ أي لنقوي به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل اليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولذلك كان رسول الله أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل ).

2 – تيسير حفظ القرآن وتسهيل فهمه : وذلك لأن القرآن نزل على أمة تغلب فيها الأمية ، فلا تعرف القراءة والكتابة وإنما سجلها ذاكرتها ، قال تعالى في إثبات ذلك : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ الجمعة / 2 ,فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن يسر لها حفظ القرآن وسهل عليهم فهم آياته التي تنزل مفرقة خلال فترات متقطعة من الزمن فيحفظونها ويفهمونها ، وكأن القرآن بنزوله منجماً رسم للصحابة الكرام منهجاً تعليمياً طبقوه في حياتهم وتوارثه عنهم التابعون وهو التعلم التدريجي ، أخرج البيهقي في ( شعب الإيمان ) عن عمر بن الخطاب قال : تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ، وأخرج ابن عساكر عن أبي نضرة قال : كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة ، وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات.

3– التدرج في التشريع : قضت إرادة الله أن يتم الإصلاح الاجتماعي بصورة تدريجية ، لأنه ليس من الممكن أن ينقلب المجتمع الجاهلي الفاسد بين عشية وضحاها إلى مجتمع صالح ، فكانت آيات القرآن تراعي الانقلاب التدريجي ، وتراعي بناء الأسس الثابتة لهذا التغيير ، فنزلت أولاً الآيات المتعلقة بالعقيدة ودلائلها ، ولآيات الداعية الى محاسن الأخلاق ، حتى إذا آمن الناس وزكت نفوسهم نزلت آيات الحلال والحرام في تدرج حكيم ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة – رضي الله عنها ، أنها قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر ابداً ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنى.

4 – مسايرة الحوادث : وإيجاد الحلول المناسبة للحوادث الطارئة ، لتكون آيات القرآن أوقع في النفس والصق بالحياة ، ومن ذلك : لما توفي عبدالله بن أبي – راس المنافقين – دُعي رسول الله للصلاة عليه ، فقام عليه ، فلما وقف قال عمر : أعلى عدوِّ الله عبدالله بن أبي القائل كذا وكذا ، والقائل كذا وكذا ؟ يُعدِّدُ أيامه ، ورسول الله يبتسم ، ثم قال له :(إني قد خُيِّرتُ ، قد قيل لي : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ التوبة / 80. فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر لزدت عليها )، ثم صلى عليه رسول الله ، ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه ، قال عمر : فعجبتُ لي ولجرأتي على رسول الله ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ التوبة / 84 . فما صلى رسول الله على منافق بعد حتى قبضه الله عز وجل ,وحين تخلف نفر من المؤمنين الصادقين في غزوة تبوك ، وأقاموا بالمدينة ، ولم يجد رسول لديهم عذراً ، هجرهم وقاطعهم ، حتى ضاقوا ذرعاً بالحياة ، ثم نزل القرآن بقبول توبتهم ، فكان درساً في عدم التخلف عن الجهاد لا يمكن أن ينساه أو يتجاهله أي مسلم ، قال تعالى : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼالتوبة / 117 – 118 .

**5** – الدلالة القاطعة على أن القرآن كلام الله وحده : لقد عرفت أن هذا القرآن نزل مفرقاً على رسول الله في مدة ثلاثة وعشرين عاماً ، تنزل منه الآية أو الآيات في فترات زمنية ، ومع ذلك فإنك تجده من أوله إلى آخره محكم السرد ، دقيق السبك ، متين الأسلوب ، قوي الاتصال ، آخذاً بعضه برقاب بعض في سوره وآياته ، وكأنه عقد فريد نظمت حباته بشكل دقيق وفريد بما لم يُعهد له مثيل من كلام البشر لا من قبل ولا من بعد ، قال تعالى : ﭽ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ هود / 1 , وهذا التناسق وعدم الاختلاف في أسلوب القرآن أكبر دليل على أنه كلام الله العليم الحكيم ، إذ لو كان من كلام المخلوقين لظهر فيه الاختلاف من سنة إلى أخرى ، قال تعالى : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ النساء / 82 , وحتى احاديث النبي رغم أنها في ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن ، فإنها لا تنتظم حباتها في كتاب واحد سلس العبارة فيه وحدة وترابط كالقرآن ، أو ما يدانيه في الاتساق والانسجام .

6 – توثيق وقائع السيرة النبوية : والدلالة من خلال الآيات القرآنية المنجمة على أن محمداً خاتم النَّبِيَّين ، وتشكل السيرة النبوية من خلال الحوادث ، وضمها الى قصص الانبياء ، وسير المرسلين ، وحياة السابقين وتوثيق ذلك الى درجة التواتر ، ورسم القواعد التي تُبنى وفقها السيرة النبوية بوصفها المقدمة للتاريخ الإسلامي منذ جيل الصحابة وحتى عصرنا الحاضر .

أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن :

يُعمد في هذا البحث على النقل والتوقيف ،ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة.

1 – أول ما نزل :-

القول الاول : أن أول ما نزل هو صدر سورة ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ العلق / 1 – 5 . وهذا اصح الأقوال ويستند الى حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الإ جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة – رضي الله عنها – فتزوده لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه ، فقال : اقرأ ، قال رسول الله : فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ..... حتى بلغ : ما لم يعلم ) فرجع بها رسول الله ترجف بوادره, فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال:زملوني حتى ذهب عنه الروع وفي رواية أخرى دثروني ,دثروني.

القول الثاني : أن أول ما نزل قوله تعالى : ﭽ ﮬ ﮭ ﭼ ويستند هذا القول الى حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف انه قال : سألت جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما - : أيُّ القرآن أنزل قبل ؟ فقال : ﭽ ﮬ ﮭ ﭼفقلت: أو ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ فقال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ، قال رسول الله : إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلت ، فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو – يعني جبريل – جالس على عرش بين السماء والأرض فأخذتني رجفة فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثروني فأنزل الله ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ, والمعروف أن هذه الآية نزلت بعد فترة الوحي ، فكانت أول ما نزل على الرسول بعدها ، فلعل جابراً سمع من الرسول حديثه عن أول ما نزل عليه من القرآن بعد فترة الوحي ، فاعتبر ذلك أول ما نزل على الإطلاق ، وانه استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روته عائشة .

القول الثالث : أن أول ما نزل هو الفاتحة ، ويستند هذا القول الى حديث مرسل رواه البيهقي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل : أن رسول الله قال لخديجة ولم يذكر في السند اسم الصحابي :( إني خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً ، فقالت : معاذ الله ، ما كان ليفعل بك ، فوالله إنك لتؤدي الامانة وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت : اذهب مع محمد الى ورقة فانطلقا ، فقصا عليه ، فقال : " إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد ! يا محمد ! فأنطلق هارباً في الأفق " فقال : لا تفعل ، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فأخبرني ، فلما خلا ناداه : يا محمد ! قل : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ حتى بلغ : ﭽ ﭲ ﭳ ﭼ , هذا الحديث لا يقوى على معارضة حديث عائشة – رضي الله عنها – السابق في بدء الوحي ، ولم يقل بهذا الرأي الا قلة من العلماء منهم الزمخشري صاحب ( الكشاف ) .

القول الرابع : أن أول ما نزل ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ويستند هذا القول إلى ما أخرجه الواحدي بسنده عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن ( بسم الله الرحمن الرحيم ) وأول سورة ( سورة اقرأ، وهذا الحديث مرسل أيضاً فليست له قوة الحديث الصحيح ، ويضاف الى ذلك أن البسملة تجيء في أول كل سورة إلا ما استثني ، ومعنى ذلك أنها نزلت صدراً لسورة اقرأ ,ومما ذكرناه تعقيباً على الأقوال الثلاثة المتأخرة يترجح القول الأول وهو أن أول ما نزل صدر سورة ( اقرأ ) .

2– آخر ما نزل : أما آخر ما نزل من القرآن ، ففيه أقوال كثيرة أصحها وأشهرها :-

1- قول الله تعالى في سورة البقرة ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ البقرة/ 281, فقد أخرج النسائي وغيره عن ابن عباس أن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن ,وعاش النبي بعد نزولها تسع ليال .

2- أن آخر ما نزل قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ النساء / 176 , وهي خاتمة سورة النساء .

3- أن آخر ما نزل هو سورة النصر : ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ النصر / 1 . 4- أن آخر ما نزل سورة المائدة وفيها قول الله تعالى : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆﭼ المائدة / 3 .

واصح ما يجاب به عن هذه الاقوال أنها أواخر نسبية : فآية الكلالة آخر ما نزل من المواريث ، وأن سورة المائدة آخر ما نزل في الحلال والحرام ، وقد اتفق العلماء على أن آية ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭼ نزلت يوم عرفة من حجة الوداع ، وروي أن عمر بن الخطاب لما نزلت هذه الآية فقال له ما يبكيك يا عمر ؟ فقال : أبكاني أنا كُنّا في زيادة من ديننا فأمّا إذا كمل فإنه لم يكمل شيء الإ نقص ، قال : صدقت) ، فكانت هذه الآية نعي رسول الله ,أما سورة النصر : ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ فانها آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي ، ويؤيده ما روي من أنه قال حين نزلت :( نُعيت اليَّ نفسي)، وكذلك فهم بعض كبار الصحابة , وأما آية ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ البقرة / 281 ، فهي آخر ما نزل مطلقاً على الارجح ,ويؤيده ما روي أنه لم يمكث بعدها الا تسع ليال أو سبعة أيام ، ثم أنتقل الى الرفيق الأعلى .

**الوحدة الرابعة**

**أسباب النزول، وفوائدها، وطريقة معرفتها**

تعريف سبب النزول:

عرفه السيوطي: (ما نزلت الآية أيام وقوعه)

وعرفه الزرقاني: (ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه) وهذا أتم.

لا يلزم كون النزول بعده مباشرة، بل بعد زمن يسير، حادثة الإفك نزلت بعدها بشهر، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين بعد 15 يوم.

أهمية علم سبب النزول:

علم أسباب النزول من علوم القرآن المهمة التي اعتنى بها علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وقد دلَّ على مدى اهتمامهم بهذا العلم:

أ/كثرة الجهود المبذولة في سبيل تدوينه، وإفرادهم له بالعديد من المؤلفات الخاصة.

من أشهر من ألف فيه:

1- علي بن المديني شيخ البخاري (ت:234)، ذكر أحمد صقر أنه لم يصل إلينا.

2- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت:468) كتابه: أسباب النزول، حقق عدة مرات أحمد صقر، وأيمن صالح شعبان، وكمال بسيوني، وعصام الحميدان في رسالة ماجستير.

3- برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت:732) الذي اختصر كتاب الواحدي بحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً. حققته الطالبة خلود الجعفري في كلية الآداب للبنات في الدمام.

4- أبو الفضل شهاب الدين الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت:852) في كتابه: العجاب في بيان الأسباب، صدر بتحقيق الأستاذ عبدالحكيم محمد الأنيس إلى آية 78 من سورة النساء.

5- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت:911) في كتابه: لباب النقول في أسباب النزول.

6- مقبل بن هادي الوادعي كتابه: الصحيح المسند من أسباب النزول.

ب/ عقدوا له باباً مستقلاً في علوم القرآن.

ج/ أول ما يورده المفسرون للآية.

ولا يعني الاهتمام بأسباب النزول أن نلتمس لكل آية سبباً.

فالقرآن من جهة النزول قسمان:

ما نزل ابتداء ولا يتوقف على سبب وهو الأكثر؛ لأن القرآن أنزله الله هداية للبشرية جمعاء فهو الذي يعلم ما يحقق نفعهم ومصالحهم.

ما ينزل بشأن حادثة مخصوصة مثل/ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [ الشعراء: 214]. خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فاجتمعوا إليه فقال" أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟.." الحديث ، فقال أبو لهب تباً لك، إنما جمعتنا لهذا، ثم قام، فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: 1].

فائدة: ﴿يسألونك﴾ في القرآن ثلاثة عشر مرة؛ وقد يكون السؤال: عن أمر مضى ﴿عن ذي القرنين﴾ أو عن أمر حاضر ﴿عن الروح﴾ أو يتصل بأمر مستقبل ﴿عن الساعة﴾.

طرق معرفة سبب النزول:

تحدث العلماء عن الطرق التي تثبت بها أسباب النزول، وحصروها في:

النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

أخبار وروايات الصحابة ، الذين شاهدوا الوحي وعاصروا نزوله، وعاشوا الوقائع والحوادث وظروفها. ولهذا قال الإمام الواحدي: ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها.

وقد اتفق علماء الحديث على اعتبار قول الصحابي في سبب النزول لأن أسباب النزول غير خاضعة للاجتهاد فيكون قول الصحابي حكمه الرفع، خاصة قوله الصريح في النزول: (نزلت هذه الآية في كذا) كما قال الحاكم وابن الصلاح.

وإذا كان السبب غير صريح فلم يدخله بعض العلماء في المرفوع (كالإمام أحمد ومسلم).

قول التابعي كذلك له حكم المرفوع إلا أنه مرسل، فقد يقبل إذا صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة، كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر.

والخلاصة: أن الطريق لمعرفة سبب النزول النقل الصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما صح عن الصحابة، وكذا الأخبار التي نقلها التابعون، الذين تلقوا العلم عن الصحابة، تعتبر مرجعاً مهماً في معرفة أسباب النزول.

وكان من هدي السلف الصالح رضي الله عنهم التحرز عن القول في أسباب النزول من غير خبر صريح أو علم صحيح.

صيغة السبب:

1- تكون نصا صريحاً في السببية إذا صرح الراوي بالسبب بأن يقول: سبب نزول هذه الآية كذا، أو يأتي الراوي بفاء التعقيب بعد ذكر الحادثة، بأن يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا، فنزلت الآية.

2- تكون محتملة للسببية إذا قال الراوي: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، أو ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا، مثال ذلك ما حدث للزبير والأنصاري ونزاعهما في سقي الماء، وتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفذ فيهما حكم الله، فكأن الأنصاري لم يعجبه هذه الحكم، فنزل قوله تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء: 65]. فقال الزبير ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك.

فينبغي الحذر والتيقظ، فلا نخلط بأسباب النزول ما ليس منها، فقد يقع على لسانهم قولهم: نزلت هذا الآية في كذا ويكون المراد موضوع الآية، أو ما دلت عليه من الحكم.  
أما عن حكمة وفوائد هذا العلم - كما ذكرها العلماء - فهي كثيرة، منها:

1. معرفة وجه ما ينطوي عليه تشريع الحكم على التعيين لما فيه نفع المؤمنين وغير المؤمنين، فالمؤمن يزداد إيماناً على إيمانه لما شاهده وعرف سبب نزوله، والكافر إن كان منصفاً يبهره صدق هذه الرسالة الإلهية فيكون سبباً لإسلامه، لأن ما نزل بسبب من الأسباب إنما يدل على عظمة المُنزل وصدق المُنزَل عليه.
2. أن معرفة أسباب النزول تُعين القارئ لكتاب الله على فهمه فهماً صحيحاً سلمياً، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبَّب. ولنمثل لذلك بمثال، وهو قوله تعالى: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} (البقرة:189) فهذه الآية لا يستقيم فهمها فهماً صحيحاً إلا في ضوء معرفة سبب نزولها، وقد جاء في سبب نزولها، ما رواه البخاري من حديث البراء \_ أنه قال: (كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} فالمراد من الآية على ضوء سبب نزولها ليس مجرد الأمر بالدخول من الأبواب على حقيقته، بل المراد منها الأمر بالتزام أوامر الله ونواهيه، وطاعته على وفق ما أمر وشرع. وأمثلة هذا كثير في القرآن.
3. الاستعانة على إزالة الإشكال عن الآية، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبب. قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.

قال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.

وقال بعض العلماء : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

وقد أشكل على بعضهم قوله تعالى: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا...} [آل عمران: 188].

وقال: لئن كان كل امرىء فرح بما أُوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبنَّ أجمعون، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأَرَوْه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه.

1. تُيسِّرُ حفظ كتاب الله وتُثَبِّتُ معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها.
2. إنه يمكِّن من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن المعلوم أن هناك من الآيات ما يصعب فهم المراد منها، ويقع الخطأ في تفسيرها في حال الجهل بأسباب نزولها.
3. دخول من نزلت الآية فيه دخولاً أولياً فيما إذا كان اللفظ عاماً.
4. دفع توهم الحصر، قال الإمام الشافعي ما معناه في قوله تعالى: {قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...} [الأنعام: 145]: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة - أي تصرفهم بقصد المخالفة - جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه.
5. معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيه، وبيان فضله ونفي التهمة عنه كما في حادثة الإفك.
6. تخصيص الحكم السبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فعند هؤلاء ما لم يعرف السبب لا يمكن معرفة المقصود بالحكم، ولا القياس عليه، وتبقى الآية معطلة خالية من الفائدة.

من هنا كان من الأهمية بمكان - لقارئ كتاب الله عامة وللمفسر خاصة - أن يكون على علم ودراية بأسباب النزول؛ ليكون على بصيرة من كتاب ربه، فيفهمه فهماً صحيحاً سليماً، أما إذا لم يكن على معرفة وبينة من تلك الأسباب فربما فهمه على غير ما قُصِد منه، فيكون قد أخطأ من حيث أراد الصواب.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن العلماء قرروا قاعدة متعلقة بأسباب النزول:

مفادها أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتعني هذه القاعدة باختصار، أن النص الشرعي إذا ورد بسبب واقعة معينة حصلت في عصر التنزيل، فإن الحكم لا يكون مقتصراً على تلك الواقعة فحسب، وإنما يكون حكماً عاماً في كل ما شابهها من وقائع ونوازل، وذلك أن أحكام القرآن - من حيث الأصل - هي أحكام عامة لكل زمان ومكان، وليست أحكاماً خاصة بأفراد معينين.

ولتوضيح هذه المسألة نذكر مثالاً يكشف المقصود منها:

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، أن هلال بن أمية قذف امرأته بـ شريك بن سحماء، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البينة أو حدٌّ في ظهرك) فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً، ينطلق يلتمس البينة، فأنزل الله تعالى: {والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين} (النور:6).

فهذه الآية سبب نزولها خاص، وهو هذه الحادثة، إلا أن حكم اللعان الذي جاءت به حكم عام، خُوطب به جميع المسلمين، ومن هنا قال أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

نختم بمسألتين:

مسألة تعدد الأسباب والمُنَزَّل واحد:

وذلك بأن تقع عدة وقائع في أزمنة متقاربة، فتنزل الآية لأجلها كلها، وذلك واقع في مواضيع متعددة من القرآن.

والعمدة في ذلك على صحة الروايات، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ولم يكن ثمة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلاً على أن الكل سبب لنزول الآية والآيات.

مثال ذلك: آيات اللعان: فقد أخرج البخاري: أنها نزلت في هلال بن أمية لما قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ..} [النور: 6].

وفي الصحيحين : أنها نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد مع امرأته رجلاً…فقال صلى الله عليه وسلم: "إنه قد أنزل فيك وفي صاحبتك القرآن" .

وظاهر الحديثين الاختلاف، وكلاهما صحيح.

فأجاب الإمام النووي: بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيىء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً.

مسألة تعدد النزول مع وحدة السبب:

1-قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد ومن ذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [ آل عمران:195 ].

2-عن أم سلمة قالت: يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال، فأنزلت: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب: 35].

3-عن أم سلمة أنها قالت: تغزوا الرجال ولا تغزوا النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: {وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} [ النساء: 32 ].

**الوحدة الخامسة**

**المكي والمدني**

تعريف المكي والمدني المركب تركيباً عطفياً.

لغة: نسبة إلى مكة والمدينة.

واصطلاحاً: هو علم يبحث منازل القرآن المكي والمدني، وكل ما يتعلق بذلك من ملابسات الأحوال.

- تعريفه بمعناه المراد واصطلاحات أهل العلم فيه:

فيه ثلاث اصطلاحات مبنية على اعتبارات مختلفة:

1- اعتبار زمن النزول: وهو القول المشهور، ويمتاز هذا القول بشمول تقسيمه جميع القرآن، ولا يخرج عنه شيء.

فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، فما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عرفة فهو مدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: 58] أو نزل في حجة الوداع كقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة: 3].

2- اعتبار المخاطب: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة و المدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر، فخوطبوا بـ: {يا أَيُّها النَّاسُ}، وإن كان غيرهم داخلاً فيه، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان، فخوطبوا بـ: {يا أيها الذين آمنوا} وإن كان غيرهم داخلاً فيه.

أ- وهذا الضابط لا يطّرد دائماً، لأن في سورة البقرة و النساء -وهما مدنيتان- خطاباً مكياً وهو: {يا أَيُّها النَّاسُ}. والعكس كما في الحج.

ب- وهذا التقسيم غير حاصر فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بيا أيها الناس ولا يا أيها الذين آمنوا.

ج- وهناك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مثل سورة الكوثر، فهذه تبقى حائرة لا ندري في أي القسمين؟

3- اعتبار مكان النزول: أن المكي ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، والمدني ما نزل عليه بالمدينة.

ويدخل في مكة ضواحيها، مِنى وعرفات، والحُدَيْبِيَة، ويدخل في المدينة أيضاً ضواحيها: بَدْر، وأُحُد، وسَلْع.

ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة، بل تثبت بمقتضاه الواسطة، فهناك من الآيات ما لم تنزل في مكة ولا في المدينة ولا في ضواحيهما، كالنازل بِتَبُوك والجحفة ﴿إن الذي فرض..﴾.

ومنها ما نزل عليه بالأسفار -مثل سورة الأنفال، وسورة الفتح، وسورة الحج- فعلى هذا القول لا يطلق عليها مكي ولا مدني.

إذن الصحيح هو القول الأول؛ للأسباب التالية:

أ- أن هذه الاصطلاح ضابط وحاصر ومطرد، إذ تنعدم فيه القول بالواسطة.

ب- أن هذا هو الذي يبدو من قصد الصحابة في المكي والمدني وذلك أنهم عدوا في المدني: سورة التوبة وسورة الفتح وسورة المنافقون. وسورة التوبة لم تنزل كاملة في المدينة بل كثير منها نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في طريق عودته إلى تبوك.

وكذا نزلت سورة الفتح وهو عائد من صلح الحديبية. وكذا سورة المنافقون نزلت وهو في غزوة بني المصطلق.

ج- أن الاعتماد على هذا الاصطلاح يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني.

د- أن هذا الاصطلاح هو الذي درج عليه كثير من الباحثين في علوم القرآن، وهو ترجيح ابن عطية، وابن كثير، والبقاعي، وذكر الزركشي والسيوطي أنه أشهر الأقوال.

واصطلاح الجمهور منطلقة زماني بحت، فلا محل للاعتراض بالمكان.

- كيفية معرفة المكي والمدني:

1- منهج سماعي نقلي: يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقفه وأحداثه. مثل: حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت: (وما أنزلت سورة البقرة وآل عمران إلا وأنا عنده..) رواه البخاري.

2- منهج قياسي اجتهادي: يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وهذا قياسي اجتهادي، ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.

أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني:

عدم التنصيص من الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر. لماذا؟

قال الباقلاني: (لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة إلا بالقدر الذي يعرف به الناسخ والمنسوخ).

ولعل السبب الصحيح ما ذكره الزرقاني بأنه: (عدم حاجة المسلمين إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون التنزيل، ويشهدون أسبابه، ومكانه، وزمانه عياناً وليس بعد العيان بيان.. قال: ولعله أولى مما ذكره الباقلاني) 1/196.

الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني.

توهم قطعية بعض الضوابط مع أن مبناها على الغالبية.

الاعتماد على روايات ضعيفة مع وجود روايات صحيحة في نفس الموضوع.

متى نشأ علم المكي والمدني؟

المرحلة الأولى: نشأة علم المكي والمدني:

أ- عناية الصحابة فيه: نجد أعلام الهدي من الصحابة والتابعين يضبطون منازل القرآن آية آية ضبطاً يحدد الزمان والمكان وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع، فنرى ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه).

ب- عناية التابعين: نجد أيضاً الأعلام من التابعين الذين أخذوا عِلمهم من الصحابة يعتنون بهذا العلم عناية تامة، كيف لا وهم تلاميذ صحابة رسول الله ‘، فهذا رجل يسأل عكرمة ’ عن آية من القرآن، فيجيبه أنها نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سَلْع.

المرحلة الثانية: التأليف في علم المكي والمدني:

عناية العلماء: اعتنى العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة فتتبعوا القرآن آية آية وسورة سورة ترتيباً وفق نزولها حيث بذلوا جهداً كبيراً، وراعوا في ذلك الزمان والمكان والخطاب وهو تحديد دقيق يعطي صورة علمية في التحقيق لهذا العلم.

نزول القرآن للضحاك (ت:104).

تنزيل القرآن للزهري (ت:124).

المكي والمدني لمكي (ت:437).

المكي والمدني للديريني (ت:694).

رسالة ماجستير: المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية نقدية من الفاتحة إلى الإسراء، لعبدالرزاق حسين أحمد، مطبوع مجلدين 1420هـ دار ابن عفان.

منزلة علم المكي والمدني:

من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة.

قواعد في المكي والمدني:

1- القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على نقل من شاهدوا التنزيل، والنقل كما يكون عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون عن الصحابة كقول ابن مسعود وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.

2- الأصل في السورة الكية أن تكون كل آياتها مكية والعكس إلا بدليل استثنائي صحيح، مثل قول ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لقيت امرأة في بعض طرق المدينة فأصبت منها كل شيء دون الجماع قال: فنزلت: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار...﴾ أخرجه البزار وأصله في الصحيحين.

والسور المدنية لا تكاد تجد فيها آية مكية مثل: ﴿وإذ يمكر بك الذين...﴾.

3- المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي كذلك، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني. مثل: آيتا عدة الوفاة مدنيتان، تحريم الخمر ﴿تتخذون منه سكراً..﴾ مكية منسوخة بالمدني ﴿فاجتنبوه﴾، ونسخ المكي بالمكي قليل جداً: مثل: ﴿ومن الليل فاسجد﴾ بقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة﴾.

4- قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سورة أخرى، قال ابن عاشور: (فليس معنى قولهم: نزلت سورة كذا بعد سورة كذا مراداً منه أن المعدودة نازلة بعد أخرى أنها ابتدئ نزولها بعد انتهاء نزول الأخرى، بل المراد أنها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها). مثل أول سورة البقرة من أول السور المدنية نزولاً وفيها آخر القرآن نزولاً.

ضوابط المكي ومميزاته:

الضوابط/ خصائص الألفاظ.

والمميزات/ خصائص الأسلوب والمعاني والأغراض للسور.

ضوابطه:

1- كل سورة فيها سجدة. يستثنى سورة الحج عند من يقول إنها مدنية، وفي الرعد خلاف.

2- كل سورة فيها لفظ كلا. [33 في 15 سورة كلها في النصف الأخير],وقال الديريني رحمه الله: وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ... ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

3- كل سورة فيها يا أيها الناس، وليس فيها يا أيها الذين آمنوا. سوى البقرة والنساء والحج.

4- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة.

5- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس ما عدا البقرة.

6- كل سورة تفتح بحروف التهجي مثل: آلم، آلر، حم، ما عدا البقرة وآل عمران، وفي الرعد خلاف.

7- كل سورة من المفصل، كما قال ابن مسعود عند الطبراني. لكن النصر مدنية اتفاقاً.

مميزاته:

الأسلوب:

1- قصر الآيات والسور، وكثرة الفواصل. اقرأ سورة الطور.

2- كثرة أسلوب التأكيد، مثل: القسم، والأمثال.

3- قوة العبارة وشدة العبارة. اقرأ المدثر والقمر.

الموضوعية:

1- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله، وذكر القيامة والجنة والنار، ومجادلة المشركين. فالسور المكية تتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة.

2- يفضح أعمال المشركين من سَفْك دماء، وأكل أموال اليتامى ، ووأد البنات.

3- الدعوة إلى أصول الأخلاق والتشريعات العامة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، كالصدقة، والبر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وإكرام الجار، والعدل، والإحسان ... إلخ.

4- الإكثار من عرض قصص الأنبياء وتكذيب أقوامهم لهم للعبرة، والزجر، وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الشاطبي: (وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان: أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى: أحدها/ تقرير الوحدانية لله الحق.. والثاني/ تقرير النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله إليهم جميعاً... والثالث/ إثبات أمر البعث والدار الآخرة..).الموافقات3/416.

ضوابط المدني ومميزاته:

ضوابطه:

1- كل سورة فيها فريضة أو حدّ. (خطاب لمن يقر بأصل الرسالة).

2- كل سورة فيها ذكر المنافقين ما عدا سورة العنكبوت. تأمل سورة التوبة.

3- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب.

4- كل سورة تبدأ بـ {يا أيها الذين آمنوا}. في المدينة خوطب هؤلاء وهؤلاء. وليس ذلك في المكي.

5- كل سورة فيها الأمر بالجهاد وبيان أحكامه.

مميزاته:

أولاً الأسلوبية:

1- طول المقاطع والآيات، وبسط الأحكام. اقرأ آية الدين.

2- الأسلوب الهادئ ولين الخطاب. اقرأ سورة المائدة.

3- والحجة الباهرة عندما يتعرض لأهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عندما يتعرض للمنافقين وفضحهم.

ثانياً الموضوعية:

1- بيان جزئيات التشريع وتفاصيل الأحكام في العبادات والمعاملات، والحدود، والجهاد، والسِّلْم، والحرب، ونظام الأسرة، وقواعد الحكم، ووسائل التشريع.

2- مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام.

3- الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين.

ومن المهم أن نعلم أن هذه الخصائص أغلبية.

فالسور المدنية قد تتحدث عن العقيدة لكن لا يأخذ مثل مساحته في المكي لأنه في المكي تأسيس وفي المدني تذكير.

من كتب التفسير التي اعتنى مؤلفوها بذكر المكي والمدني:

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي

- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير

- الدر المنثور في التفسير للسيوطي

- ومن المتأخرين: محاسن التأويل للقاسمي، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

عدد السور المكية والسور المدنية والسور المختلف فيها:

1- السورة المكية: اثنان وثمانون.

2- السورة المدنية: عشرون.

3- السور المختلفة فيها: اثنا عشر.

أولاً/ السور المكية: اثنان وثمانون (82).

وهي: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم ، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر ، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الواقعة، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الانشراح، التين، العلق، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، والمسد.

ثانياً/ السور المدنية: عشرون (20).

وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، والنصر.

ثالثاً/ السور المختلف فيها: اثنا عشر (12).

وهي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس.

فوائد معرفة المكي والمدني:

1- يُعرف بالمكي والمدني الناسخ والمنسوخ، وهذا يترتب عليه كثير من المسائل الهامة في فهم النصوص، الذي كان من حكمة تربية القرآن في التشريع.

قال مكي: (ويجب أن تعلم أن المكي من السور من المدني، فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ من المنسوخ).

2- علم المكي والمدني يعين الدارس على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سُنة الله الحكيمة في تشريعه، بتقديم الأصول على الفروع، وترسيخ الأسس الفكرية والنفسية، ثم بناء الأحكام والأوامر والنواهي عليها، مما كان له الأثر الكبير في تلقي الدعوة الإسلامية بالقبول، ومن ثم الإذعان لأحكامها.

3- الاستعانة بهذا العلم في تفسير القرآن وفهم معانيه.

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت أهل المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي. فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى) انتهى. الإتقان 1/ 7

4- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية، ومواقفه في الدعوة. وفيه بحوث حول السيرة في القرآن مثل: (السيرة النبوية في القرآن)، (شخصية الرسول ودعوته في القرآن)، (شخصية الرسول الأعظم قرآنياً).

5- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.

6- الاطلاع على عناية المسلمين بالقرآن واهتمامهم به فلم يكتفوا بحفظه فقط.

7- معرفة أسباب النزول.

8- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف.

9- تربية الدعاة وتوجيه المخاطبين بالتدرج شيئاً فشيئاً؛ فيبدأ بالأهم فالمهم.

**الوحدة السادسة**

**جمع القرآن وترتيبه**

أ- يطلق الجمع على معنيين:

المعنى الأول: جمعه بمعنى الحفظ في الصدور ، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [ القيامة: 16-17]

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته في السطور، أي الصحائف التي تضم السورة والآيات جميعها.

ب- مراحل الجمع

المرحلة الأولى: الجمع الأول في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

حفظه في الصدور: حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلوا القرآن عن ظهر قلب لا يفتر لا سيما في الليل، حتى إنه ليقرأ في الركعة الواحدة العدد من السور الطوال.

ولزيادة التثبيت كان جبريل يعارضه بالقرآن كذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن …

وقال أبو هريرة: كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه..

حفظ الصحابة للقرآن الكريم:

توفرت للصحابة العوامل التي تجعلهم قادرين على حفظ القرآن وتسهل عليهم هذه المهمة ومن تلك العوامل:

1-قوة ذاكرتهم الفذة التي عرفوا بها واشتهروا، حتى كان الواحد منهم يحفظ القصيدة من الشعر بالسمعة الواحدة.

2-نزول القرآن منجماً.

3-لزوم قراءة شيء من القرآن في الصلاة.

4-وجوب العمل بالقرآن، فقد كان هو ينبوع عقيدتهم وعبادتهم، ووعظهم وتذكيرهم.

5-حض النبي صلى الله عليه وسلم على قراءة القرآن، والترغيب بما أعد للقارىء من الثواب والأجر العظيم.

6-تعاهد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بتعليم القرآن: فكان الصحابة تلامذة للنبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون منه القرآن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شيخهم، يتعاهدهم بتعليم القرآن، فإذا أسلم أهل أفق أو قبيله أرسل إليهم من القراء من يعلمهم القرآن، وإن كان في المدينة ضمه إلى حلق التعليم في جامعة القرآن النبوية.

حفظه في السطور:

وهو لون من الحفظ يدوم مع الزمان، لا يذهب بذهاب الإنسان، فلا بد أن يتحقق ما تكفل الله بحفظه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : 9]

لقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن عناية بالغة جداً، فكان كلما نزل عليه شيء منه دعا الكُتّاب - ومنهم: علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم - فأملاه عليهم، فكتبوه على ما يجدونه من أدوات الكتابة حينئذ مثل:

الرقاع، اللخاف، والأكتاف، والعسب . وقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم جهد هؤلاء الكتاب في كتابة القرآن فمنع من كتابة غيره إلا في ظروف خاصة أو لبعض أناس مخصوصين.

فتحقق بذلك توفر طاقة كبيرة لكتابة القرآن وترتيبه، كما أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرَّقاع… ومقصود هذا الحديث فيما يظهر أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الثانية: الجمع الثاني في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر، مقتلَ أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئاَ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتّبع القرآن فأجمعه - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن- قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! قال: والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر.

فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب و اللِّخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، ولم أجدها مع غيره: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...} [التوبة: 128- 129]. حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم.

وبهذا جمعت نسخة المصحف بأدق توثق ومحافظة، وأودعت لدى الخليفة لتكون إماماً تواجه الأمة به ما يحدث في المستقبل، ولم يبق الأمر موكلاً إلى النسخ التي بين أيدي كَتّاب الوحي، أو إلى حفظ الحفاظ وحدهم.

وقد اعتمد الصحابة كلهم وبالإجماع القطعي هذا العمل وهذا المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتتابع عليه الخلفاء الراشدون كلهم والمسلمون من بعده، وسجلوها لأبي بكر الصديق منقبة فاضلة عظيمة من مناقبه وفضائله. وحسبنا في ذلك ما ثبت عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله.

منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن:

تتبع زيد في جمع القرآن من العُسُب و اللَّخاف وصدور الرجال، فكان منهجه أن يسمع من الرجال ثم يعرض ما سمعه على ما كان مجموعاً في العُسُب والأكتاف، فكان رضي الله عنه لا يكتفي بالسماع فقط دون الرجوع إلى الكتابة، وكذلك من منهجه في جمع القرآن أنه لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان، وهذا زيادة في التحفظ، مع أن زيداً كان من حفظة القرآن .

وبهذا التثبت والتحفظ تم جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

المرحلة الثالثة: الجمع الثالث في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حُذيفة بن اليمان قدم عَلى عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق.

السبب الداعي للجمع:

السبب الدافع لهذا العمل الذي قام به عثمان وهو اختلاف الناس في وجوه قراءة القرآن حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخُشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخت تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش.

**الوحدة السابعة**

**ترتيب آيات القرآن وسوره**

1-تعريف الآية:

لغة: أصلها بمعنى العلامة، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ}

اصطلاحاً: فهي الجملة من كلام الله، ذو مبدأ ومقطع، مندرج في سورة.

2-تعريف السورة:

لغة: من سور المدينة، أو من السورة بمعنى المرتبة والمنزلة الرفيعة.

اصطلاحاً: الجملة من كلام الله ذو فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

-حكمة تقسيم القرآن إلى سور وآيات:

منها: أن القارىء إذا ختم سورة أو جزأً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله.

ومنها: أن الحافظ إذا حَذَق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة، فيعظم عنده ما حفظه، ومنه حديث أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلّ فينا.

مصدر ترتيب القرآن الكريم.

أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على أن ترتيب الآيات في السورة توقيفي، أي اتبع فيه الصحابة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل، لا يشتبه في ذلك أحد.

والأحاديث في إثبات التوقيف في ترتيب الآيات في السور كثيرة جداً تفوق حد التواتر، أذكر أمثلة منها:

ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} [البقرة:234] قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا أبن أخي لا أغيرّ شيئاً منه من مكانه.

وأخرج الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شَخَص ببصره ثم صوَّبه، ثم قال: " أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...} [النحل: 90] إلى آخرها.

ترتيب سور القرآن:

جماهير العلماء على أن ترتيب سورة القرآن توقيفي، وليس باجتهاد من الصحابة.

والأدلة على أن ترتيب السور كلها توقيفي كثيرة جداً نذكر منها: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: في بني إسرائيل، الاسراء والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، إنهن من العتآق الأول، وهن من تلادي.

فذكر ابن مسعود السور نَسَقاً كما استقر ترتيبها.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل.

قال أبو جعفر النحاس: وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد.

ويشهد لذلك من حيث الدراية والعقل واقع الترتيب وطريقته، وذلك من وجهين لا يشك الناظر فيهما، أن الترتيب بين السور توقيفي:

الأول: مما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً.

الثاني: ما راعاه العلماء الأئمة في بحوثهم من التزام بيان أوجه التناسب بين كل سورة وما قبلها، وبيان وجه ترتيبها.

أقسام السور:

1-الطوال. سبع سور: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والسابعة قيل: الأنفال والتوبة، وقيل: يونس.

2-المئين. (ما كانت آياته مائة أو تقاربها)

3-المثاني. (ما كان أقل من المئين؛ سمي بالمثاني لكثرة تثنيته أي: تكراره)

4-المفصل. (من سورة ق إلى الناس) طواله: من ق-عم، وأوساطه: من عم-الضحى، وقصاره: من الضحى-الناس.

**الوحدة الثامنة**

**رسم المصحف العثماني والآراء فيه**

المراد برسم القرآن هنا كيفية كتابة الحروف والكلمات في المصحف على الطريقة التي كتبت عليها في المصاحف التي أمر عثمان اللجنة الرباعية فكتبتها ووزعتها في الأمصار.

ويطلق عليه: رسم المصحف، ومرسوم الخط.

الآراء فيه:

الرأي الأول: أن الرسم العثماني ليس توقيفاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا يجوز مخالفته.

الرأي الثاني: أن رسم المصحف اصطلاحي لا توفيقي، وعليه فيجوز مخالفته.

الرأي الثالث: أنه توقيفي لا يجوز مخالفته، وهو مذهب الجمهور.

واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كُتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وقد أقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابتهم وقضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

فجمهور العلماء ذهبوا إلى منع كتابة المصحف بما استحدث الناس من قواعد الإملاء، للمحافظة على نقل المصحف بالكتابة على الرسم نفسه الذي كتبه الصحابة.

وقد صرح الإمام أحمد فيه بالتحريم فقال: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.

وسئل الإمام مالك: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى.

وجاء في الفقه الشافعي: إن رسم المصحف سنة متبعة.

وجاء في الفقه الحنفي: أنه ينبغي ألا يكتب بغير الرسم العثماني.

وقال الإمام أبو عمرو الداني : ولا مخالف له من علماء الأمة.

وهكذا اتخذت الأمة الإسلامية الرسم العثماني سنة متبعة إلى عصرنا هذا، كما قال البيهقي في "شعب الإيمان": واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها.

وكان ذلك للمبالغة في المحافظة والاحتياط على نص القرآن، حتى في مسألة شكلية، هي كيفية رسمه.

لكن استثنوا من ذلك نقط المصاحف وتشكيلها، لتتميز الحروف والحركات، فأجازوا ذلك بعد اختلاف في الصدر الأول عليه، وذلك لما اضطروا إلى ذلك لتلافي الأخطاء التي شاعت بسبب اختلاط العرب بالعجم.

أشهر المؤلفات في رسم القرآن:

1-المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني (ت:444).

2-الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف للأندلسي (ت:654).

3-مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن للخراز (ت: 718).

4-رسم المصحف لغانم قدوري الحمد.

قواعد رسم المصحف ست:

جمعها الناظم بقوله:

الرسم في ست قواعد استقل حذف زيادة وهمز وبدل

وما أتى بالوصل أو بالفصل موافقاً للفظ أو للأصل

وذو قراءتين مما قد اشتهر فيه على إحداهما قد اقتصر

نقط المصحف وشكله:

كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل اعتماداً على السليقة العربية التي لا تحتاج إلى مثل هذه النقط والتشكيلات، وظلت هكذا حتى دخلت العجمة بكثرة الاختلاط، وتطرق اللحن إلى اللسان العربي، عندئذ أحسَّ أولو الأمر بضرورة تحسين كتابة المصاحف بالتنقيط والشكل والحركات مما يساعد على القراءة الصحيحة.

من الذي قام بشكل المصحف؟

أ- اختلف العلماء في ذلك، منهم من قال: أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع ضوابط اللغة العربية بأمر من سيدنا علي بن أبي طالب. يروي أنه سمع قارئاً يجر اللام من رسوله في قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}، فغير المعنى، ففزع لهذا اللحن وقال: عز الله وجل أن يبرأ من رسوله، فعندئذ قام بوضع ضوابط التشكيل حفاظاً عليه من اللحن.

ب- ومن العلماء من قال: أول من شكل المصحف : الحسن البصري، ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم الليثي بأمر من الحجاج.

تدرج نقط المصحف:

كان الشكل في الصدر الأول نقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمة نقطة على آخره، والكسرة نقطة تحت أول الحرف، ثم تدرج، فأصبحت الفتحة شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسرة تحته، والضمة واواً صغيرة فوقه، ثم بعد ذلك مر المصحف في طور التجديد والتحسين على مر العصور حتى استقر على هذا الشكل الذي هو عليه الآن من الخطوط الجميلة الواضحة، وابتكار العلامات المميزة، والاصطلاحات المفيدة، فجزى الله من سبقونا في خدمة قرآن ربنا خير جزاء، والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

**الوحدة التاسعة**

**النسخ**

**1 –** معنى النسخ في اللغة : يطلق النسخ في اللغة ويراد به معنيان :-

أ –النقل : أي نقل الشيء وتحويله من حالة الى حالة مع بقائه في نفسه ، ومنه : نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه ، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الجاثية / 29 . أي ننقل اعمالكم الى الصحف ، ومن الصحف الى غيرها .

ب – الإزالة : بمعنى رفع الشيء وإعدامه ، ومنه : نسخت الشمس الظل إذا أزالته ، ونسخت الريح آثار القدم أي أعدمته ، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼالحج / 52 . أي يزيل ويعدم وساوس الشيطان وتزييفه .

2 – في الاصطلاح : عرف الأصوليون والفقهاء النسخ بقولهم : رفع الشارع حكم شرعي بحكم شرعي متراخ عنه ، أي رفع استمرار العمل بالحكم السابق والعمل بالحكم الثابت آخراً , هذا التعريف يتناول النسخ الواقع في الكتاب والسنة ، وظاهره يفيد أن النسخ لا يتوجه الا الى الحكم فقط ، ولا يتوجه الى نسخ التلاوة , ومرادنا هنا النسخ في القرآن وهو : رفع الحكم الثابت بالنص القرآني ، أو رفع تلاوة النص والحكم الثابت به معاً , وعلى هذا يكون معنى نسخ تلاوة النص : نسخ حكم من أحكامه وهو رفع الإثابة على ترتيله وصحة الصلاة به ، وغير ذلك من وجوه الأحكام للنص القرآني .

2 – جواز النسخ :

أجمع المسلمون على جواز النسخ مطلقاً ، واستدلوا على ذلك بالنقل والعقل :

أ – أما النقل : فمنه قوله تعالى : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭼالبقرة / 106 . ننسها : نمحها من القلوب فهي صريحة بجواز النسخ ، بل هي قد نزلت رداً على الذين طعنوا في الشريعة الإسلامية بوقوع النسخ فيها ، وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على جواز النسخ .

ب – وأما العقل : فهو أن العقل لا يمنع جوازه بل يقتضيه ، وذلك لأن الله تعالى يُشرع الاحكام لتحقيق مصالح العباد ، ومصالح العباد قد تختلف باختلاف الأزمان ، وليس مما يمنعه العقل أن يعلم الله تعالى المصلحة في عمل في زمن من الأزمان ويعلم عدم المصلحة فيه في زمن آخر ، وعلم الله تعالى في الحالتين قديم ، فيأمر به في الزمن الأول وينهي عنه في الزمن الآخر ، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمصالح العباد .

1 – وقوع النسخ في القرآن الكريم :

لقد ثبت عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين القول بوقوع النسخ في القرآن الكريم ، ولذلك قالوا : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلا بعد أن يعرف الناسخ منه والمنسوخ ، ولم يقبلوا قول من جهل النسخ فيه أو أنكره ، بل شددوا النكير عليه .

روى البخار عن ابن عباس قال : قال عمر : أقرؤنا أبيّ ، وأقضانا علي ، وإنا لندع من قول أبيّ ، وذاك أن أبياً يقول : لا أدعُ شيئاً سمعته من رسول الله وقد قال تعالى : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼالبقرة / 106 .

فهذا الحديث يدل على أن عمر استدل بالآية على وقوع النسخ في القرآن ، وأنه ينكر على أبيّ عدم تركه شيئاً سمعه من رسول الله .

وروى أن علياً مر على قاض فقال له : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا قال علي : هلكت وأهلكت.

وروي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى :ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ البقرة / 269 . قال : ناسخة ومنسوخة ، ومحكمة ومتشابهة ، ومقدمة ومؤخرة وحرامه وحلاله .

فهذه النقول وغيرها الكثير تثبت القول بوقوع النسخ في القرآن الكريم ، واليك بعض الأمثلة التي وقع فيها النسخ فعلاً :

1 – قوله تعالى ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼالبقرة / 180 .

فالآية تفيد وجوب الوصية على من حضرته الوفاة وله من يوصى له من الوالدين أو الأقربين ، والجمهور على ان حكم هذه الآية منسوخ بآيات المواريث التي بينت لكل من الوالدين والأقربين حقه ونصيبه من الميراث .

2 – قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼالنساء / 15 , فالآية تدل على ان عقوبة من ثبت زناها الحبس في البيوت حتى الموت ، وقد كان الحكم كذلك في ابتداء الإسلام ، حتى نسخ بوجوب الجلد بقوله تعالى : ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼالنور / 2 . والجلد الثابت في الآية بالنسبة للبكر رجلاً كان أو امرأة ، وأما المحصن من كل منهما فالعقوبة هي الرجم والتي ثبتت بأدلة أخرى .

2 – انواع النسخ :

المراد أنواع النسخ من حيث رفع الحكم أو التلاوة أو رفعهما معاً ، وهو على هذا ثلاثة أنواع :

النوع الأول : نسخ التلاوة والحكم معاً ، وذلك بأن يبطل العمل بالحكم الثابت بالنص ، الى جانب حذف النص من القرآن ، وعدم إعطائه حكم التلاوة من حيث صحة الصلاة به والتعبد بتلاوته ، وبالتالي عدم إثباته في المصحف حين جمع القرآن .

ومثال هذا النوع : ما رواه مسلم واصحاب السنن عن عائشة – رضي الله عنها –قالت : كان فيما أنزل من القرآن : ( عشر رضعات يحرمن ، فنسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن ).

فمن الواضح في هذا المثال أن الحكم ، وهو التحريم بعشر رضعات معلومات ، منسوخ وكذلك هذه الآية منسوخة التلاوة ، ولذا لم يكتبها الصحابة رضي الله عنهم في المصحف حين جمعوا القرآن ، والمراد بقولها ( وهن مما يقرأ من القرآن ) ، أن التلاوة قد نُسخت ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة رسول الله ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها .

النوع الثاني : نسخ الحكم فقط وبقاء التلاوة ، أي إنه يبطل العمل بالحكم الثابت بالنص ، مع بقاء النص مما يُتلى من القرآن ويُتعبد بتلاوته ، ويثبت بين دفتي المصحف , ومثال هذا النوع قوله تعالى : ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼالبقرة / 240 . فإن هذه الآية مثبتة في المصحف ، وتلاوتها متواترة على أنها قرآن يتعبد بتلاوتها وتصح بها الصلاة ، مع أن الحكم الثابت بها ، وهو وجوب التربص حولاً كاملاً لمن توفي عنها زوجها ، منسوخ بقوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼالبقرة / 234 . فقد أوجبت على المتوفي عنها زوجها أن تعتد أربعة أشهر وعشرة ايام ، وقد ثبت أنها متأخرة بالنزول عن الأولى ، فدل ذلك على ان حكم الأول منسوخ ، وان بقيت تلاوتها .

النوع الثالث : نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ، أي ان الحكم الثابت بالنص يبقى العمل به ثابتاً ومستمراً ، وإنما يجرد النص عما يثبت للقرآن المتلو من أحكام كالتعبد بتلاوته وصحة الصلاة به وغير ذلك ، ولا يثبت في المصحف .

ومثال هذا النوع : ما رواه البخاري ومسلم , وغيرهما عن عمر بن الخطاب وصححه ابن حبان عن أبي بن كعب ، أنهما قالا : كان فيما أنزل من القرآن ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم), والمراد بالشيخ والشيخة الثيب من الرجال والنساء ، وهذا الحكم ، وهو رجم الثيب من الرجال والنساء اذا زنى ثابت , ومعمول به ، علماً بأن هذه الآية لم يبق لها وجود بين دفتي المصحف ولا على السنة القراء ، ولا تجوز بها الصلاة ولا يتعبد بتلاوتها .

فائدة :

بالغ بعض الكتاب ممن تصدوا لدراسة الناسخ والمنسوخ ، فعدوا زيادة للبيان أو التقييد تجيء في احدى الآيات ، ناسخة للآية التي ورد فيها بلفظ العموم أو الإطلاق ، ورفض علماء الأصول اعتداد هذا نسخاً ، واعتبروا بيان العموم أو تقييد المطلق من قبيل التفصيلات التي توضح الحكم ، ويذكر الزركشي أمثلة عن مغالاة بعض العلماء في القول بفكرة النسخ ، فيقول : ومن ظريف ما حكي في كتاب هبة الله بن سلام الضرير : أنه قال في قوله تعالى : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼالانسان / 8 . منسوخ من هذه الجملة ( وأسيراً ) والمراد بذلك أسير المشركين ، فقرئ الكتاب عليه وابنته تسمع ، فلما انتهى الى هذا الموضع قالت : أخطأت يا أبت ! في هذا الكتاب ! فقال لها : وكيف يا بنية ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يُطعم ولا يقتل جوعاً ، والحق أن النسخ لا بد فيه من نقل صحيح وصريح عن رسول الله أو عن صحابي يقول : آية كذا نسخت آية كذا أو يحكم به عند وجود التعرض المقطوع به ، مع علم التاريخ ، ليعرف المتقدم والمتأخر .

والأصل في الآيات القرآنية كلها الاحكام لا النسخ ، وقد حصر العلماء القول بالنسخ في آيات معدودة ، حددها السيوطي بتسع عشرة آية .

**الوحدة العاشرة**

**القصص في القرآن**

معنى القصص: القص: تتبع الأثر, والقصص: الأخبار المتتبعة, قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ}، وقال: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الْأَلْبَابِ}, والقصة: الأمر, والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

أنواع القصص في القرآن: ثلاثة:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت حقيقتهم ، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد، وغزوة حنين وتبوك، وغزوة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

فوائد قصص القرآن:

وللقصص القرآني فوائد نجمل أهمها فيما يأتي:

1-إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}

2- تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنُصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله: {وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}.

3- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

4- إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

5- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهُدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

6- والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}.

تكرار القصص وحكمته:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن , وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. ومن حكمة هذا:

1- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها. فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

2- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

4- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

أهم المؤلفات في قصص القرآن:

1-قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر للشيخ عبدالرحمن السعدي.

2-قصص القرآن الكريم لفضل حسن عباس.

3-القصص القرآني د. صلاح الخالدي.

**الوحدة الحادية عشر**

**الأمثال في القرآن**

تعريف الأمثال: جمع مثل، والمَثل والمِثل والمثيل: كالشَّبه والشِّبه والشبيه لفظًا ومعنى.

والمثل في الأدب: قول محكي سائر يُقصد به تشبيه حال الذي حُكِي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده، مثل: "رُب رمية من غير رام" أي رُب رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ.

وقيل في ضابط المثل: إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا.

أنواع الأمثال في القرآن ثلاثة:

1- الأمثال المصرحة. 2- والأمثال الكامنة. 3- والأمثال المرسلة.

النوع الأول: الأمثال المصرَّحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي:

أ- قوله تعالى في حق المنافقين: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} إلى قوله: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ب- وذكر الله المثلين: المائي والناري - في سورة الرعد للحق والباطل. فقال تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}.

النوع الثاني من الأمثال: الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز: يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

1- ما في معنى قولهم: "خير الأمور الوسط":

أ- قوله تعالى في البقرة: {لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}.

ب- قوله تعالى في النفقة: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}.

جـ- قوله تعالى في الصلاة: {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}.

د- قوله تعالى في الإنفاق: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}.

2- ما في معنى قولهم: "ليس الخبر كالمعاينة":

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}.

3- ما في معنى قولهم: "كما تدين تُدان":

قوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ}.

4- ما في معنى: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

قوله تعالى على لسان يعقوب: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْل}.

النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن: وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه. فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

1. (**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ).**
2. **(لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ)**
3. **(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ)**
4. **(أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)**
5. (**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ)**
6. **(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ)**
7. **(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ)**
8. **(وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)**
9. **(كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)**

واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل، ما حكم استعماله استعمال الأمثال؟

فرآه بعض أهل العلم خروجًا عن أدب القرآن، قال الرازي في تفسير قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}: "جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة، وذلك غير جائز؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه".

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد، كأن يأسف أسفًا شديدًا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول: {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}، أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطله فيقول: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} والإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح.

فوائد الأمثال:

1- الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل؛ لأن المعانى المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلًا لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب, فقال تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا}.

2- وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر كقوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}.

3- وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلة في الآيات الآنفة الذكر.

4- ويضرب المثل للترغيب في الممثَّل حيث يكون الممثَّل به مما ترغب فيه النفوس، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق في سبيل الله حيث يعود عليه الإنفاق بخير كثير، فقال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

5- ويضرب المثل للتنكير حيث يكون الممثَّل به مما تكرهه النفوس، كقوله تعالى في النهي عن الغيبة: {وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ}.

6- ويضرب المثل لمدح الممثَّل كقوله تعالى في الصحابة: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}. وكذلك حال الصحابة فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلا. ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم. وامتلأت القلوب إعجابًا بعظمتهم.

7- ويضرب المثل حيث يكون للمثَّل به صفة يستقبحها الناس، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه، فتنكب الطريق عن العمل به، وانحدر في الدنايا منغمسًا. فقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا}.

8- والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، قال تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. وقال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}، وضربها النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديثه، واستعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير،في المدح أو الذم. أهم المؤلفات في أمثال القرآن:   
1- الأمثال من الكتاب والسنة تأليف أبي عبد الله محمد بن علي ابن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي(ت320هـ).   
2- أمثال القرآن تأليف إبراهيم بن محمد بن نفطويه المتوفى سنة 323 هـ.  
3- أمثال القرآن لأبي عبد الرحمن بن حسين السلمي النيسابوري (ت 406هـ).  
4- درر الأمثال لابن أبي الأصبع العدواني(ت654هـ).  
5-أمثال القرآن لابن القيم(ت751هـ).

**الوحدة الثانية عشر**

**القسم في القرآن**

تعريف القَسَم وصيغته:

الأقسام: جمع قَسَم - بفتح السين- بمعنى الحلف واليمين, والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل "أقسم" أو "أحلف" متعديًا بالباء إلى المُقسم به. ثم يأتي المُقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ}.

فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

1- الفعل الذي يتعدى بالباء. 2- والمُقسم به 3- والمُقسم عليه.

فائدة القسم في القرآن:

تمتاز اللغة العربية بدقة التعبير واختلاف الأساليب بتنوع الأغراض، وللمخاطب حالات مختلفة، هي المسماة في المعاني بأضرب الخبر الثلاثة: الابتدائي، والطلبي، والإنكاري , فقد يكون المخاطَب خالي الذهن من الحكم فيُلقى إليه الكلام دون تأكيد، ويُسمى هذا الضرب: ابتدائيًّا , وقد يكون مترددًا في ثبوت الحكم وعدمه، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده، ويُسمى هذا الضرب: طلبيًّا.

وقد يكون منكرًا للحكم، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفًا، ويُسمى هذا الضرب: إنكاريًّا.

والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد. فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة.

أنواع القسم:

القسم إما ظاهر، وإما مضمر.

1-فالظاهر: هو ما صُرح فيه بفعل القسم, وصرح فيه بالمُقسم به، ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغائب اكتفاء بالجار من الباء أو الواو أو التاء، كقوله تعالى: {لا أقسم بيوم القيامة}..

2-والقسم المضمر: هو ما لم يصرِّح فيه بفعل القسم، ولا بالمقسَم به، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}, أي والله لتبلون.

أهم المؤلفات في أقسام القرآن:

1-التبيان في أيمان القرآن للعلامة ابن القيم رحمه الله (ت: 751هـ).

2-إمعان في أقسام القرآن لعبدالحميد الفراهي رحمه الله (ت: 1349هـ).

3-القَسَمُ في اللغة والقرآن تأليف الشيخ محمد المختار السلامي التونسي.

4-القَسَمُ في القرآن الكريم للدكتور حسين نصار.

**الوحدة الثالثة عشر**

**فواتح السور**

فواتح السور هي أوائلها ومبادئها، وقد صحت هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وسلم, فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال – إلى أن قال - : "فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" رواه مسلم. وفواتح السور شامل لجميع فواتح سور القرآن والبالغ عددها 114 سورة.

كما أنه شامل لما افتتحت به السور من الألفاظ والكلمات, والمعاني والموضوعات.

أنواع فواتح السور:

افتتح الله سبحانه سور كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام , لا يخرج شيء من السور عنها:

أثنى على نفسه سبحـانه بثبــو ت المدح والسلب لما استفتح السورا

والأمر شرط الندا التعليل والقسم الدعاء حروف التهجي استفهم الخبرا

الأول: استفتاحه بالثناء عليه عز وجل, والثناء عليه قسمان إثبات لصفات المدح، والتنزيه من صفات النقص:

فالإثبات نحو: "الحمد لله" في سور خمس, "تبارك الله الذي نزل الفرقان", "تبارك الذي بيده الملك"

والتنزيه نحو: "سبحان الذي أسرى", "سبح اسم ربك الأعلى", "سبح لله", "يسبح لله" فالتسبيح فاتحة سبع سور. فهذه أربع عشرة سورة استفتحت بالثناء على الله تعالى, نصفها لثبوت صفات الكمال, ونصفها لسلب النقائص.

النوع الثاني: استفتاح السور بحروف التهجي, نحو : "ألــم" , "المــص", "الــر", "الـمــر", "كهــيعص", "طــه", "طـسـم", "طــس", "يـس", "ص", "حـــم", " حــم عـســق", "ق", "ن"، وذلك في تسع وعشرين سورة.

الثالث: النداء نحو: "يأيها الناس", "يأيها الذين آمنوا", "يأيها النبي", "يأيها المزمل", "يأيها المدثر" وذلك في عشر سور.

الرابع: الجمل الخبرية نحو: "يسألونك عن الأنفال", "براءة من الله", "أتى أمر الله", "أقترب للناس", "قد أفلح المؤمنون", "سورة أنزلناها", "تنزيل الكتاب", "الذين كفروا", "إنا فتحنا", "اقتربت الساعة", "الرحمن علم القرآن", "قد سمع الله", "الحاقة","سأل سائل","إنا أرسلنا", " لا أقسم" في موضعين, "عبس", "إنا أنزلناه", "لم يكن", " القارعة", "الهاكم", "إنا أعطيناك" فذلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسم نحو: "والصافات", "والذاريات", "والطور", "والنجم", "والمرسلات", "والنازعات", "والسماء ذات البروج", "والسماء والطارق", "والفجر", "والشمس", "والليل", "والضحى", "والتـيـن", "والعاديات", "والعصر", فذلك خمس عشرة سورة.

السادس: الشرط نحو: "إذا وقعت", "إذا جاءك المنافقون", "إذا الشمس كورت", "إذا السماء انفطرت", "إذا السماء انشقت", "إذا زلزلت", "إذا جاء نصر الله والفتح" فذلك في سبع سور.

السابع: الأمر في ست سور: "قل أوحي", "اقرأ باسم ربك", "قل يأيها الكافرون", "قل هو الله أحد", "قل أعوذ", "قل أعوذ".

الثامن: لفظ الاستفهام في ست سور: "هل أتى", "عم يتساءلون", "هل أتاك", "ألم نشرح", "ألم تر", "أرأيت".

التاسع: الدعاء في ثلاث سور: "ويل للمطففين", "ويل لكل همزة", "تبت يدا أبي لهب وتب".

العاشر: التعليل في موضع واحد, وهو "لإيلاف قريش".

الحروف المقطعة:

النظر للحروف المقطعة له مقامان:

الأول: النظر في معناها:

فقيل لها معنى؛ ثم اختلفوا فيها: 1-أسماء للسور. 2-أسماء لله. 3-الله أعلم بالمعنى. وقيل: لا معنى لها.

الثاني: في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور، والصحيح أن الحكمة بيان إعجاز المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتكلمون بها وهذا القول رجحه جميع المحققين وهو اختيار ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم.

فائدة: عادة القرآن تعقيب الحروف المقطعة بالانتصار للقرآن.

أهم المؤلفات في الفواتح:

1-الخواطر السوانح في أسرار الفواتح لزكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع.

2-مختصر البيان في فواتح سور القرآن لحسن يونس حسن عبيد.

3-وجه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

**الوحدة الرابعة عشر**

**المناسبات في القرآن الكريم**

المناسبة في اللغة: المقاربة، يقال فلان يناسب فلانًا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس، وهي الوصف المقارب للحكم.

والمراد بالمناسبة اصطلاحاً: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة.

فائدة معرفة المناسبة: إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي، وإحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}.

قال الزركشي: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء". وقال القاضي أبو بكر بن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم".

وطريقة معرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمرًا توقيفيًّا، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية وأوجه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة. ولا يعني هذا أن يلتمس المفسر لكل آية مناسبة، فإن القرآن الكريم نزل مُنَجَّمًا حسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك المفسر ارتباط آياته وقد لا يدركها، فلا ينبغي أن يعتسف المناسبة اعتسافًا، وإلا كانت تكلفًا ممقوتًا، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "المناسبة علم حسن، ولكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره: فإن وقع على أسباب مختلفة لم يُشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر" ثم قال: "ومن ربط بين ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض".

وقد عُنِيَ بعض المفسرين ببيان المناسبة بين الجمل، أو بين الآيات، أو بين السور واستنبطوا وجوه ارتباط دقيقة.

فالجملة قد تكون تأكيدًا لما قبلها، أوبيانًا، أو تفسيرًا، أو اعتراضًا تذييليًّا، ولهذا أمثلته الكثيرة.

وللآية تعلقها بما قبلها على وجه من وجوه الارتباط يجمع بينها، كالمقابلة بين صفات المؤمنين وصفات المشركين، ووعيد هؤلاء ووعد أولئك، وذكر آيات الرحمة بعد آيات العذاب، وآيات الترغيب بعد آيات الترهيب، وآيات التوحيد والتنزيه بعد الآيات الكونية وهكذا.

وقد تكون المناسبة بين السورة والسورة، كافتتاح سورة "الأنعام" بالحمد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}, فإنه مناسب لختام سورة "المائدة" في الفصل بين العباد ومجازاتهم: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.. إلى آخر السورة، كما قال سبحانه: {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وكافتتاح سورة "الحديد" بالتسبيح: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}, فإنه مناسب لختام سورة "الواقعة" من الأمر به: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}, وكارتباط سورة {لإِيلافِ قُرَيْشٍ}, بسورة "الفيل" فإن هلاك أصحاب الفيل كانت عاقبته تمكين قريش من رحلتيها شتاء وصيفًا، حتى قال الأخفش: اتصالها بها من باب قوله تعالى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}.  
وقد تكون المناسبة بين فواتح السور وخواتمها: ومن ذلك ما في سورة "القصص" فقد بدأت بقصة موسى عليه السلام، وبيان مبدأ أمره ونصره، ثم ما كان منه عندما وجد رجلين يقتتلان.

وحكى الله دعاءه: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}، ثم ختم الله السورة بتسلية رسولنا -صلى الله عليه وسلم- بخروجه من مكة والوعد بعودته إليها، ونهيه عن أن يكون ظهيرًا للكافرين: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ، وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ}. ومن تتبع كتب التفسير وجد كثيرًا من وجوه المناسبات.

المؤلفات في المناسبات:

1-"البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي النحوي.

2-"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للشيخ برهان الدين البقاعي.

**الوحدة الخامسة عشر**

**الأحرف السبعة**

- التعريف:- معنى الأحرف قال أهل اللغة حرف كل شيء طرفه ووجهه وحافته وحده وناحيته والقطعة منه والحرف أيضاً واحد حروف التهجي كأنه قطع من الكلمة.

أما تعريفها اصطلاحاً: فلا نستطيع تعريف الأحرف السبعة حتى نعرف كلام العلماء فيها ومن خلال القول الراجح يكون التعريف.

(قال) الحافظ أبو عمرو الداني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي هاهنا يتوجه إلى وجهين:

أحدهما: أن يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات...والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى ﴿يعبد الله على حرف﴾الآية فالمراد بالحرف هنا الوجه أي على النعمة والخير.

والوجه الثاني: أن يكون سمى القراءات أحرفا على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشئ باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره,فسمى القراءة -إذ كان ذلك الحرف فيها- حرفاً على عادة العرب في ذلك.

قال ابن الجزري: وكلا الوجهين محتمل إلا أن الأول: محتمل احتمالاً قويا في قول النبي : ((سبعة أحرف)) أي: سبعة أوجه وأنحاء، والثاني: محتمل احتمالاً قوياً في قول عمر في الحديث سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول أي: على قراءات كثيرة.

بيان الأحرف السبعة في الحديث النبوي:

لما كان سبيل معرفة هذا الموضوع هو النقل الثابت الصحيح عن الذي لا ينطق عن الهوى، نقدم ما يوضح المراد من الأحرف السبعة:

عن عمر بن الخطاب \_ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ‘، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيها رسول الله ‘، فكِدت أساوِره في الصلاة، فتصَّبرت حتى سلّم، فلَببْتُهُ بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنِيْها رسول الله ‘، فقلت له: كذبت، أقرانيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ‘، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، فقال: " أرسله، اقرأ يا هشام"، فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ‘: "كذلك أنزلت" ثم قال رسول الله ‘:" اقرأ يا عمر"، فقرأت التي أقرأني. فقال:"كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه".

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ‘ قال: "أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".

سبب وروده على سبعة أحرف:

1. للتخفيف على هذه الأمة.
2. وخصوصية لفضلها.
3. وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق حيث لم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف.

كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه . فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع.

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة رحمه الله: (ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشيا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين).

المقصود بهذه السبعة:-

اختلف العلماء في ذلك مع إجماعهم:

1- أنه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو (أف، وجبريل، وأرجه وهيهات وهيت).

2- وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين وإن كان يظنه بعض العوام.

أشهر الأقوال في الخلاف:

القول الأول: أكثر العلماء على أنها لغات ثم اختلفوا في تعيينها:

أ- فقال أبو عبيد: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

ب- وقال غيره خمس لغات في أكناف هوازن : سعد وثقيف، وكنانة وهذيل، وقريش، ولغتان على جميع ألسنة العرب.

ج- وقال أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد الهروي يعني على سبع لغات من لغات العرب أي أنها متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغى اليمن.

(قال ابن الجزري رحمه الله) وهذه الأقوال مدخولة فإن عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح وكلاهما قرشيان من لغة واحدة وقبيلة واحدة.

القول الثاني: قال بعضهم المراد بها معاني الأحكام ثم اختلفوا في تحديدها:

أ- (فقيل) المراد: الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال، والإنشاء، والإخبار.

ب- (وقيل) الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمجمل والمبين، والمفسر.

ج- (وقيل) الأمر، والنهي، والطلب، والدعاء، والخبر، والإستخبار، والزجر.

د- (وقيل) الوعد، والوعيد، والمطلق، والمقيد، والتفسير، والإعراب، والتأويل.

(قال ابن الجزري رحمه الله) وهذه الأقوال غير صحيحة فإن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي كما ثبت في حديث عمر و هشام وأبي وابن مسعود وعمرو بن العاص وغيرهم لم يختلفوا في تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفوا في قراءة حروفه.

القول الثالث: يقول ابن الجزري رحمه الله: ولا زلت استشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها...

فإذا اختلافها يرجع إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك:

1] إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة: نحو (ويحسب) بوجهين.

2] أو بتغير في المعنى فقط نحو (فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ).

3] وإما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو(تبلوا، وتتلوا)، (ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك، ننجيك ببدنك).

4] أو عكس ذلك نحو (بصطة، وبسطة)، (الصراط، والسراط)

5] أو بتغيرهما نحو (أشد منكم، منهم)، و(يأتل، يتأل)، (فامضوا إلى ذكر الله، فاسعوا).

6] وإما في التقديم والتأخير مثل،{فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} [التوبة: 111] وقرئ: {فَيُقْتَلونَ ويَقْتُلُون} ومثل: {وجاءت سكرة الموت بالحق}، قرئ: {وجاءت سكرة الحق بالموت}.

7] أو في الزيادة والنقصان نحو (وأوصى، ووصى)، (والذكر والأنثى) فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها.

وأما نحو اختلاف الإظهار، الإدغام، والروم، والاشمام، والتفخيم، والترقيق،والمد، والقصر، والإمالة، والفتح، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ولئن فرض فيكون من الأول.

إذن على هذا الترجيح يكون معنى الأحرف السبعة: سبعة أوجه فصيحة من اللغات والقراءات أنزل عليها القرآن الكريم.

ولا يخفى علينا أن العلماء اختلفوا في تحديد هذه الأوجه السبعة: فقد ذكر الإمام الكبير أبا الفضل الرازي سبعة أوجه، وكذلك ابن قتيبة، مع تغاير يسير في تحديدها.

- حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي وفائدته:

فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض؛ فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى قال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} فاختلاف القراءات كلها لا تخلو من ثلاثة أحوال:

(أحدها) اختلاف اللفظ والمعنى واحد. (تنوع)

(الثاني) اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد. (تغاير)

(الثالث) اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد. (تغاير)

فأما الأول فكالاختلاف في (الصراط، وعليهم، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

وأما الثاني فنحو (مالك، وملك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذا (يكذبون، ويكذبون) لأن المراد بهما هم المنافقون لأنهم يكذِّبون بالنبي ويَكذِبون في أخبارهم، وكذا(كيف ننشرها) بالراء والزاي؛ لأن المراد بهما هي العظام وذلك أن الله أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين.

وأما الثالث فنحو (وظنوا أنهم قد كذبوا) بالتشديد والتخفيف فأما وجه تشديد (كذبوا) فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ووجه التخفيف هو توهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.

وكذا (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) بفتح اللام ورفع الأخرى وبكسر الأولى وفتح الثانية، فأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من (لتزول) فهو أن يكون أن مخففة من الثقيلة أي وإن مكرهم كان من الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها وفي القراءة الثانية إن نافية أي ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد ودين الإسلام ففي الأولى تكون الجبال حقيقة وفي الثانية مجازاً.

وكل ما صح عن النبي صلى من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الإيمان به وأن كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض وإلى ذلك أشار عبد الله بن مسعود بقوله: "لا تختلفوا في القرآن ولا تتنازعوا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة، حدودها وقراءتها وأمر الله فيها واحد، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله، ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله".

وإلى ذلك أشار النبي حيث قال لأحد المختلفين "أحسنت" وفي الحديث الآخر "أصبت" وفي الآخر "هكذا أنزلت" فصوب النبي قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله.

وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء فإن اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي والحق في نفس الأمر فيه واحد فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر نقطع بذلك ونؤمن به.

فائدة اختلاف القراءات وتنوعها:

1. التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.
2. ما في ذلك من نهاية البلاغة.
3. كمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل.
4. سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً.
5. بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الإمالات وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام بارئ النسم.
6. ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة المحمدية، وإعظاماً لقدر أهل هذه الملة الحنيفية وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع ارتياب الملحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت.
7. ظهور سر الله في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراآته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور.

**الوحدة السادسة عشر**

**ترجمة القرآن**

معنى الترجمة:

الترجمة تطلق على معنيين:

أولهما: الترجمة الحرفية: وهي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقًا للنظم، والترتيب موافقًا للترتيب.

ثانيهما: الترجمة التفسيرية أو المعنوية: وهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لنظمه.

حكم الترجمة الحرفية:

لا يجد المرء أدنى شبهة في حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفية بل واستحالة ذلك؛ فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله المُعْجز بألفاظه ومعانيه المتعبد بتلاوته، ولا يقول أحد من الناس إن الكلمة من القرآن إذا ترجمت يقال فيها إنها كلام الله، فإن الله لم يتكلم إلا بما تتلوه بالعربية، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة؛ لأن الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية - والذي يتعبد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته. فترجمة القرآن الحرفية على هذا مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها تخرج القرآن عن أن يكون قرآنًا.

الخلاصة: أن الترجمة الحرفية مستحيلة الوقوع عقلاً ومحرمة شرعاً .

أسباب استحالة الترجمة الحرفية وبيان حرمتها:

أ - أما كونها مستحيلة فالاستدلال على ذلك من طريقتين:

1 - لأن ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال وكل ما يستلزم المحا ل محال إذ لا بد في تحقيقها من الوفاء بجميع معاني القرآن وبجميع مقاصده ، كما في أسلوب علوم المعاني والبيان المتعددة، والتي هي أساس بلاغته وإعجازه وكل ذلك مفقود في غير العربية، وما كان لبشر أن يحيط بها فضلا عن أن يحاكيها في كلام له.

2 - ولأن ترجمة القرآن بهذا المعنى إيجاد مثل للقرآن وهذا مستحيل، وقد ثبت أن القرآن تحدى أفصح العرب أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا عن المعارضة والمحاكاة، ولا شك أن غير العرب أشد عجزاً وبعداً عن ذلك قال تعالى:{قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً}.

ب - وأما كونها محرمة شرعا فللأمور التالية :

1 - إن محاولة هذه الترجمة ادعاء لإمكان وجود مثل للقرآن وذلك تكذيب شنيع لقوله تعالى: { قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن }.

2 - إن محاولة هذه الترجمة تشجع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم مكتفين ببدل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب عنها اسم الترجمة ويبقى اسم القرآن وحده علماً عليها.

3 - إن الأمة اجتمعت على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى ومعلوم أن ترجمة القرآن بهذا المعنى العرفي تساوي روايته بالمعنى فكلتاهما صيغة مستقلة وافية بجميع معاني الأصل ومقاصده لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية .

فالرواية بالمعنى لغتها لغة الأصل وهذه الترجمة لغتها غير لغة الأصل وإذا كانت رواية القرآن بالمعنى في كلام عربي ممنوعة إجماعا فهذه الترجمات ممنوعة كذلك قياساً على هذا المجمع عليه بل أحرى بالمنع للاختلاف بين لغتها ولغة الأصل.

ومن الأخطاء التي وقع فيها المترجمون، استعمال أداة العطف (الواو) فحرف العطف هذا من أكثر أدوات العطف التي يقع الخطأ فيها أثناء الترجمة، فأداة العطف بالإنجليزية (and) يستخدمها المترجمون كلما وجدوا حرف (الواو) في النص العربي، وهذا يؤدي إلى الزيادة والحشو في اللغة الإنجليزية.

ومن أخطاء الترجمة الشائعة أيضًا تغيير صيغة الجملة المعطوفة من المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم، إلى جانب الأخطاء الوظائفية والتوصيلية، مثل الاختيار الخاطئ لأدوات العطف، واستبدال أداة عطف بأخرى، إلى غير ذلك من الأخطاء.  
حكم الترجمة المعنوية:

وترجمة معاني القرآن الثانوية أمر غير ميسور، إذ إنه لا توجد لغة توافق اللغة العربية في دلالة ألفاظها على هذه المعاني المسماة عند علماء البيان خواص التراكيب، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه. فوجوه البلاغة القرآنية في اللفظ أو التركيب. تنكيرًا وتعريفًا، أو تقديمًا وتأخيرًا، أو ذِكرًا وحذفًا، إلى غير ذلك مما تسامت به لغة القرآن، وكان له وقعه في النفوس - هذه الوجوه في بلاغة القرآن لا يفي بحقها في أداء معناها لغة أخرى، لأي أي لغة لا تحمل تلك الخواص.

أما المعاني الأصلية فهي التي يمكن نقلها إلى لغة أخرى. وقد ذكر الشاطبي في الموافقات المعاني الأصلية والمعاني الثانوية ثم قال: "إن ترجمة القرآن على الوجه الأول -يعني النظر إلى معانيه الأصلية- ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه. وكان ذلك جائزًا باتفاق أهل الإسلام، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي".

ومع هذا فإن ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، فإن اللفظ الواحد في القرآن قد يكون له معنيان أو معان تحتملها الآية فيضع المترجم لفظًا يدل على معنى واحد حيث لا يجد لفظًا يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة.

وقد يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي. ولهذا ونحوه وقعت أخطاء كثيرة فيما تُرجم لمعاني القرآن.  
وما ذهب إليه الشاطبي واعتبره حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي ليس على إطلاقه. فإن بعض العلماء يخص هذا بمقدار الضرورة في إبلاغ الدعوة. بالتوحيد وأركان العبادات، ولا يتعرض لما سوى ذلك، ويؤمر من أراد الزيادة بتعلم اللسان العربي.

إذن الأولى هو ترجمة التفسير عند الحاجة:

فعلماء الإسلام إذا قاموا بتفسير للقرآن، يتوخى فيه أداء المعنى القريب الميسور الراجح، ثم يترجم هذا التفسير بأمانة وبراعة، فإن هذا يقال فيه: "ترجمة تفسير القرآن" أو "ترجمة تفسيرية" بمعنى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى. ولا بأس بذلك. فإن الله تعالى بعث محمدًا -صلى الله عليه وسلم- برسالة الإسلام إلى البشرية كافة على اختلاف أجناسها وألوانها: "وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة", وشرط لزوم الرسالة البلاغ - والقرآن الذي نزل بلغة العرب صار إبلاغه للأمة العربية ملزمًا لها، ولكن سائر الأمم التي لا تُحسن العربية، أو لا تعرفها يتوقف إبلاغها الدعوة على ترجمتها بلسانها. وقد عرفنا قبل استحالة الترجمة الحرفية وحرمتها. واستحالة ترجمة المعاني الثانوية، ومشقة ترجمة المعاني الأصلية وما فيها من أخطار، فلم يبق إلا أن يترجم تفسير القرآن الذي يتضمن أسس دعوته بما يتفق مع نصوص الكتاب وصريح السٌّنَّة إلى لسان كل قبيل حتى تبلغهم الدعوة وتلزمهم الحجة. وترجمة تفسير للقرآن على نحو ما ذكرنا يصح أن نسميها بالترجمة التفسيرية. وهي تختلف عن الترجمة المعنوية وإن كان الباحثون لا يفرقون بينهما، فإن الترجمة المعنوية توهم أن المترجم أخذ معاني القرآن من أطرافها ونقلها إلى اللغة الأجنبية، كما يقال في ترجمة غيره: ترجمة طبق الأصل. فالمفسِّر يتكلم بلهجة المبيِّن لمعنى الكلام على حسب فهمه، فكأنه يقول للناس: هذا ما أفهمه من الآية، والمترجم يتكلم بلهجة من أحاط بمعنى الكلام وصبَّه في ألفاظ لغة أخرى. وشتان بين الأمرين. فالمفسِّر يقول في تفسير الآية: يعني كذا، ويذكر فهمه الخاص. والمترجم يقول: معنى هذا الكلام هو عين معنى الآية، وقد عرفنا ما في ذلك. وينبغي أن يؤكَّد في الترجمة التفسيرية أنها ترجمة لفهم شخصي خاص، لا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر منها، وبهذا تكون ترجمة للعقيدة الإسلامية ومبادئ الشريعة كما تُفهم من القرآن.

وقد اشترط لجواز الترجمة شروط‏ منها:‏

الأول‏:‏ أن لا تجعل بديلا عن القرآن بحيث يستغنى بها عنه، وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة، لتكون كالتفسير له‏.‏

الثاني‏:‏ أن يكون المترجم عالما بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها، وما تقتضيه حسب السياق‏.‏

الثالث‏:‏ أن يكون عالما بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن‏، ولا تُقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها، بحيث يكون مسلماً مستقيماً في دينه‏.‏

**الوحدة السابعة عشر**

**الإعجاز في القرآن**

المعجزة لغةً: اسم فاعل مشتق من الفعل "أعجز"، ومصدره الإعجاز.

ومعنى العجز لغةً : الضَّعْف ، وأصله لغةً : التأخر عن الشيء ، وهو ضد القدرة ، يقال: أعجزه الشيء : فاته ، وأعجزت فلاناً وعجّزته وعاجزته : جعلته عاجزاً.

ومن هذا اللفظ اشتقت عدة أسماء دالة على الضعف والتأخر ، مثل : العجوز والعجز .

قال تعالى {والذين سعوا في آياتنا معاجزين} سورة سبأ : 5، قال الزجاج : معناه ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون، وأنه لا جنة ولا نار.

وقال تعالى {وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء} سورة العنكبوت : 22، قال ابن عرفة: أي يعاجزون الأنبياء وأولياء الله، أي: يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله.

المعجزة الاصطلاحي:

1. المعجزات هي أفعال يعجز البشر على مثلها ... وليست من جنس مقدور العباد، وإنما تقع في غير محل قدرتهم [ابن خلدون : المقدمة ( 1/ 349).

2. المعجزة في لسان الشرع أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة [السيوطي: الإتقان ( 2/116)].

3. المعجزة أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله. [التعريفات : لأبي الحسن علي الجرجاني (ص 88)].

وجوه الإعجاز في القرآن:

القرآن معجز بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى.

وقد ذكر العلماء في وجوه الإعجاز ما يربو على عشرة أوجه:

مع اعتبار عدم حصر الإعجاز في وجه من الوجوه؛ كمن حصر الإعجاز في المغيبات فقط، فهي وجه من وجوه إعجازه لأنها ليست عامة في القرآن.

أولاً الإعجاز الغيبي

المعجزة الغيبية في القرآن هي: (الخبر أو المعلومة التي يستحيل التنبؤ بها أو الوقوف على حقيقتها إلا من خلال القرآن).

مثل: التنبؤ بنتائج حرب ستقوم بعد سبع سنين بين الفرس والروم.

الإعجاز الغيبي في القرآن هو أحد وجوه الإعجاز وهو ليس عاماً فيه، ولذا نرى أن عدداً كثيراً من العلماء لم يعده وجهاً بمنزلة الإعجاز البياني أو الإعجاز بالصرفة الذين يتناولا كامل القرآن، وفي المقابل هناك كثير من العلماء اعتمدوه في قولهم بالإعجاز (كالنظام) لأنه لو لم يقل به لاتهم، ومنهم (الباقلاني، القاضي عياض، ابن العربي، ابن جزي، ابن كثير، ابن خلدون، أبو السعود، الشوكاني، ابن عاشور).

كيف نفهم أن في الآية دلالات إعجازية غيبية؟

1) يفهم الإعجاز الغيبي في القرآن إما بصيغة صريحة وإما بدلالة مفهوم الآية.

مثال الأولى/ قوله تعالى قبل غزوة بدر: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر\*سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ إخبار عن نتيجة معركة لم تحدث وجواب على نتيجة سأل عنها المشركون قبل غزوة بدر.

ومثال الثانية ما يفهم من الدلالة/ قوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ يفهم من هذا التحدي استحالة الإتيان بمثل هذا القرآن وهي استحالة دائمة بدوام القرآن.

2) والصيغ الصريحة في القرآن الكريم متعددة:

أ/ قد يستعمل فيها للإخبار عن المستقبل حرف السين أو سوف أو أدوات الشرط أو أدوات الاستفهام.

أمثلة: ﴿سيقول السفهاء من الناس..﴾ ﴿سيقول الذين أشركوا..﴾ ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب..﴾ ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون..﴾ ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيراً﴾.

ب/ تفهم دلالة الإعجاز الغيبي بدلالة استعمال بعض الألفاظ التي كانت تستعمل في الماضي البعيد أو التي لا يعرفها إلا الخاصة وبذلك تكون لها خصوصية معينة، ومثال ذلك: سؤال اليهود عن أول بيت وضع للناس فأجابهم القرآن بأنه: بكة، واستعمل الاسم الأصلي زيادة على دقة الجواب وترك الاسم المتداول وهو مكة، قال تعالى:﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة..﴾.

وفي مثال ثان: نرى استعمال القرآن للفظ العهد بدل كلمة الوصايا أو الميثاق التي استعملها في مواطن أخرى، وكلمة عهد لا يعرفها إلا خاصة اليهود، قال تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾.

ج/ كما تفهم دلالة الإعجاز الغيبي باستعمال مرادفات معينة مع مراعاة الفروق في الدلالة التاريخية للكلمة، مثل: استعمال القرآن لكلمة: نبأ دون خبر ليدل على أن ما جاء به من المعلومات التي استأثر الله بعلمها؛ لأن كلمة [نبأ] تدل لغة على ما هو عظيم وجديد وغير معروف، قال تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا..﴾ ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق..﴾ ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق..﴾ ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهو يمكرون﴾.

ومما يلفت الانتباه أن كل ما جاء في القرآن من أخبار هو من الأنباء المعجزة؛ لأنه إما معلومات جديدة، أو أنه توضيح لما كان أهل الكتاب يتداولونه من أخبار داخلها التحريف والشعوذة والاتجار بالدين وكتمان الحقائق ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه..﴾ ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله...﴾.

ويندرج تحت هذا المعنى جميع ما في القرآن من قصص لأنه من قبيل القصص الحق الذي تصححت به المفاهيم التاريخية والعقدية والعبادية جيء به لبيان أن الدين دين واحد وهو الإسلام ذي المصدر الواحد والمنهج التوحيدي الواحد.

ومثل هذه الأنباء المعجزة لا تتأتى إلا من قبل الخالق الذي يقول: ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون﴾، ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ يدل على أن غيره ليس بحق.

ومن أوجه إعجاز القرآن كذلك:

ثانياً الإعجاز العلمي:

تعريف الإعجاز العلمي في القرآن: (هو سبق إنباء القرآن أو السنة النبوية عن حقيقة علمية كونية يستحيل الوقوف عليها دون تطبيق لقواعد بحثها في مصادرها).

تعريف التفسير العلمي:

منهج يسلكه المفسر في فهم الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية،عمدته في ذلك قواعد التفسير وما استحدث من علوم تجريبية أو إنسانية يقينية، دون تعسف أو تأويل في غير موضعه.

الفرق بينهما:

بناء على ما سبق يمكن القول بأن الإعجاز العلمي: كشف لحقيقة علمية في القرآن أو السنة يكون ذكرها فيهما سابقاً لميلادها في بيئتها العلمية.

أما التفسير العلمي: فهو منهج عام في التفسير يأخذ بقواعده أولاً،مضيفاً إليه قاعدة هي:الاستفادة من الحقائق العلمية الكونية التي وصل إليها العلماء...وباتباع هذا المنهج يمكن الوقوف على حالات من الإعجاز العلمي وصل إليها العلم أم لم يصل،وهذا يعني أن التفسير العلمي طريق لمعرفة الإعجاز العلمي.

أمثلة للإعجاز العلمي:

يجمع الله علوم الفلك والنبات وطبقات الأرض والحيوان ويجعل ذلك من بواعث خشيته: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}

وهكذا فإن إعجاز القرآن العلمي: في أنه يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويدعوهم إلى ولوجها، والتقدم فيها، وقبول كل جديد راسخ من العلوم.

-وفي القرآن مع هذا إشارات علمية سيقت مساق الهداية، فالتلقيح في النبات: ذاتي وخلطي، والذاتي: ما اشتملت زهرته على عضوي التذكير والتأنيث، والخلطي: هو ما كان عضو التذكير فيه منفصلًا عن عضو التأنيث كالنخيل، فيكون التلقيح بالنقل. ومن وسائل ذلك الرياح، وجاء في هذا قول الله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}

-"والأوكسجين" ضروري لتنفس الإنسان، ويقل في طبقات الجو العليا, فكلما ارتفع الإنسان في أجواء السماء أحس بضيق الصدر وصعوبة التنفس، والله تعالى يقول: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}

-وقد ساد الاعتقاد بأن الذرة هي الجزء الذي لا يقبل التجزئة، وفي القرآن: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} 3, ولا أصغر من الذرة سوى تحطيم الذرة.  
-وفي علم الأجنة جاء قوله تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}، وقوله: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}, وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً}.

-وفي وحدة الكون وحاجة الحياة إلى عنصر الماء يقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ}

تلك الإشارات العلمية ونظائرها في القرآن جاءت في سياق الهداية الإلهية، وللعقل البشري أن يبحث فيها ويتدبر.

قواعد التفسير العلمي:

لا يتولى التفسير العلمي إلا من كان أهلاً أي عالماً بالقرآن الكريم وعلومه، وشروط التفسير، وعالماً بما يفسر به من علوم الكون، وهذا الأمر الذي قد لا يتوفر في الأفراد يمكن أن توفره هيئات عليمة مختصة أو جماعة علمية وهو الأولى.

اعتبار الحقائق القرآنية أو الحديثية غير موضوعة للتأويل العلمي، أو التطويع للمسائل العلمية، أو الأحكام الذاتية المسبقة.

لا يفسر القرآن أو الحديث إلا بما هو يقين وثابت من القوانين العلمية.

ومن أوجه إعجاز القرآن:

ثالثاً الإعجاز التشريعي:

الإعجاز التشريعي شامل لكل الآيات التشريعية، وهو مذكور عند المتقدمين بالمضمون والمحتوى ولم ينصوا عليه بهذه التسمية، أما عند المتأخرين فبعد التتبع فمن الذين اهتموا بذلك: طنطاوي جوهري ، ورشيد رضا ، ومحمد عبده، ومحمد عبدا لله دراز، وقد ذكر هذه التسمية نصاً العالم السوري البوطي .

ميزات التشريع الإسلامي: الشمول والإتقان بشكل أكبر من أن تحيط به العقول.

فيقوم على أسس:

تربية الفرد: بتطهير قلبه من الشرك، وغرس عقيدة التوحيد، والتربية بالعبادة، وتهذيب السلوك.

بناء الأسرة: بالزواج، وتربية الأولاد، وبر الوالدين.

بناء المجتمع: بوجود الحكومة الإسلامية، والسمع والطاعة لولي الأمر، وتحريم الخروج على جماعة المسلمين , والقرآن بتشريعاته أصلح المجتمع كما جرى لسان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي : (كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف) فهنا تحققت السرعة في إزالة هذه الأمور التي لا يستطيع أي قانون إزالتها بمثل هذه السرعة ولذا قال تعالى ممتناً على عباده بهذه المنة العظيمة قال تعالى: {واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ..} فالسرعة في التأليف بين القلوب لا يستطيع تحقيقها أي قانون مهما كان , ومن أوجه إعجاز القرآن:

رابعاً الإعجاز البياني:

البيان لغة : من بان يبين ؛ إذا انكشف وظهر.

ومعناه اصطلاحاً : إظهار المعنى الواحد بعبارة تكشف عن حقيقته من غير توسع في الكلام.

منزلته:

يقول صلاح الخالدي: (مضامين القرآن وموضوعاته لم تكن موضوع التحدي، ولم تكن مطلوبة في التحدي) [إعجاز القرآن البياني 110].

فالإعجاز البياني هو أعظم وجوه الإعجاز في القرآن؛ لأنه تحدٍّ بوجه مما برع القوم فيه.   
وشهادات قريش حول القرآن ، وانبهارها من أسلوبه ، ومواقفها حين تريد الصد عنه توكّد أن هذا كان هو مجال التحدي الأعظم وقت نزول القرآن ، يقول الوليد بن المغيرة فيه: ((فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ، ولا برجزه ، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن ؛ والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا ..)) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 550) (3872).

وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه . ووافقه على ذلك الذهبي في التلخيص.

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ قول الله : {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين} فسجد وقال: سجدتُ لفصاحته [أعلام النبوة ، للماوردي 102].

**الوحدة الثامنة عشر**

**المحكم والمتشابه**

ذكر القرآن الكريم نفسه أن منه آيات محكمات و منه متشابهات قال تعالى :

" هو الذي أنزل عليك آيات محكمات هن أم الكتاب و أُخر متشابهات " (19)

المحكم و المتشابه :

• المحكم لغة ً: هو اسم مفعول من أحكم أي أتقن يقال بناءٌ محكم أي متين.

• المتشابه لغةً : اسم فاعل من تشابه أي أشبه بعضه بعضا .

• المحكم شرعا : ما عرف المراد منه إما بالظهور أو بالتأويل .

• المتشابه شرعا : ما تعذر ذلك و استأثر الله بعلمه , كقيام الساعة و الحروف المقطعة في أوائل السور .

أنواع المحكم :

• هناك آيات واضحات جدا يستطيع فهمها الناس العاديون الذين عرفوا العربية ووعوها .

• آيات لا يفهمها إلا العلماء الواقفون على أسرار العربية وقواعد الاستنباط وأصول الفقه .

أنواع المتشابه :

1. ما أصابه الغموض بسبب اللفظ .

2. ما أصابه الغموض من جهة المعنى .

3. ما أصابه الغموض من جهة اللفظ و المعنى جميعا .

فوائد المتشابه :

أولا : فوائد المتشابه الذي يمكن علمه :

1. حث العلماء على النظر و البحث .

2. ظهور التفاضل و تفاوت الدرجات بين الخلق .

3. الحصول على الثواب الأكبر .

4. تحصيل العلوم الكثيرة .

ثانيا : فوائد المتشابه الذي لا يمكن علمه :

1. ابتلاء العباد بالوقوف عنده و التوقف فيه و التفويض و التسليم .

2. إقامة الحجة على العرب البلغاء .

**الوحدة التاسعة عشر**

**معنى التفسير والتأويل وبيان شرف هذا العلم**

1- التفسير في اللغة:

من الفسر بمعنى البيان والكشف، وفسرت الريح الغيم: كشطته، وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم بهذا المعنى قال تعالى: ( ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) [ الفرقان: 33] أي بياناً وكشفاً.

2- التفسير في الاصطلاح:

علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

3- التأويل في اللغة:

مأخوذ من مادة (أول) بمعنى الرجوع، ومنه آل إليه الأمر عاد ورجع.

4- التأويل في الاصطلاح:

ارتبط لفظ التأويل مع التفسير واختلفت عبارات العلماء في التفريق بينهما وفقاً لاختلافهم في تحديد معناهما على أقوال نذكر منها:

1. التأويل مرادف للتفسير ومساوٍ له، فالمعنى في كلا اللفظين واحد، وهذا القول منسوب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ) عزاه إليه ( الزركشي في البرهان 2/164)، و( السيوطي في الإتقان 4/167)، وقد درج على هذا ابن جرير في تفسيره فهو يقول عند تفسيره للآية : القول في تأويل قوله تعالى….الخ، ويشرع في تفسيرها ويقول أيضاً: اختلف أهل التأويل في هذه الآية .....ومراده أهل التفسير، كما أنه سمى كتابه الذي أعده للتفسير باسم: ( جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

والأظهر أن ثمة فرق ما بين التفسير والتأويل، وهذا ما جعل الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري المفسر (ت: 406 هـ) يقول:"نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه"

2. وقال أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ) : "التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فان قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله".

3. وقال الراغب الأصفهاني (ت: 502 هـ) : التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، كما أن التأويل أكثر استعماله في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

4. وقال بعضهم: التأويل صرف الآية من المعنى الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة، والتفسير توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة، ومثالهما: ما يقال في آية (يخرج الحي من الميت) [ آل عمران: 27] إن أراد منه إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل كان تأويلاً.

5. ذهب بعضهم إلى أن التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية

ولعل ما يرجح هذا القول أن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل وهو ترجيح يعتمد على الاجتهاد.

مكانة علم التفسير

لما كان التفسير علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويتم به بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه فقد حاز هذا العلم مكانته وشرفه لارتباطه بكتاب الله تعالى.فالقرآن الكريم هو أصل العلوم الشرعية كلها، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، عن أنس بن مالك قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس، قالوا: يا رسول الله من هم، قال: أهل القرآن أهل الله وخاصته". (صحيح، أخرجه احمد في المسند (3/242) رقم (13566)، وابن ماجة في سننه (1/78) رقم (215)).وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) [ البقرة: 269] قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله. (ابن جرير في تفسيره (3/89) وهو في تفسير القرآن الكريم لابن عباس ص: 119) ,وأخرج ابن الأنباري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: " لأن أعرب آية من القرآن أحبُّ اليَّ من أن أحفظ آية". وأخرج أيضا عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلتُ" (ابن الأنباري (ت:328)، إيضاح الوقف والابتداء0 (1/23، 26) , والمراد من الإعراب هنا: التفسير، قال السيوطي:"معنى هذه الآثار عندي: إرادة البيان والتفسير لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحويّ اصطلاح حادث، ولأنه في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه". (الإتقان : 4/172) , وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات، وهو أجلُّ العلوم الثلاثة الشرعية، فهو مقدم على علمي الفقه والحديث.

لأجل هذا اعتنى الصحابة والتابعون بتفسير القرآن العظيم، فهذا مقرئ الكوفة أبو عبد الرحمن السُّلمي (عبد الله بن حبيب،ت:73 هـ) قال: " إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به " الحاكم، المستدرك(1/557) وصححه، ووافقه الذهبي، وابن سعد الطبقات الكبرى، 6/172) , ومن هنا حرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم كتاب الله، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ في أعيننا، يعني عظم". ( أحمد، المسند، 3/120 رقم (12236)). والمقصود هنا القراءة مع العلم بالتفسير، وكذلك حرص التابعون على تفسير القرآن وفهم معانيه.

قال الشعبي: " رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها". الثعالبي، الجواهر الحسان، (1/11)).

وقال مجاهد: " أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل الله". ( القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (1/26)).

واعلم -أخي الطالب أختي الطالبة- أن التفسير ضروري لتدبر آيات كتاب الله (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته). [ ص:29]، وقال عز من قائل: ( أفلا يتدبرون القرآن) [ النساء: 82]. وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن.وعلم تفسير القرآن الكريم أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان لأن شرف الصناعة إما أن يكون بشرف موضوعها، أو بشرف غرضها، أو لشدة الحاجة إليها، وصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث:

أما من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

وأما من جهة الغرض: فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة إليه: فلأن كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

**الوحدة العشرون**

**تاريخ التفسير**

سنلم في هذه الوحدة إلمامة سريعة بتاريخ التفسير ، ونستعرض نشؤه أيام النبي صلى الله عليه وسلم ونموه في عهد الصحابة والتابعين ، ثم نتحدث عن توسعه فيما بعد ذلك حتى ننتهي في استعراضنا إلى العصر الحديث .

اولا- التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

القرآن كتاب عربي مبين ، نزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليبلغه قومه الفصحاء البلغاء ، فلم يستغلق فهمه بالإجمال على معظمهم ، إذا استثنينا ما تشابه منه.فهمه العرب ، وكان سببا في دخول عدد كبير منهم في الإسلام ، ولكن معاني القرآن لا تحد ولا يحاط بها ، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق فهما لهذا الكتاب كان من مهماته الأساسية أن يبين للناس ما نزل إليهم .والقرآن يحوي نظرة إلى الحياة و الإنسان جديدة على العرب ، ومن أجل ذلك فهم محتاجون إلى مزيد من الشرح و البيان لها حتى يقفوا عليها ، و يعوها حق الوعي ، لا سيما وأن في القرآن المجمل ، و العام ، والمشكل ، وفيه مفردات لا يفهما بعضهم ، فقد كان بعض الصحابة يكتفي بالمعنى الإجمالي لآيات القرآن ويؤخذ بسحرها وجمالها . إذن فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاوتون في فهم القرآن تبعا لما يأتي :

1. تبعا لمواهبهم .

2. تبعا لاطلاعهم على لغتهم وأدبها و لهجاتها .

3. تبعا لمعرفتهم أسباب النزول .

وهكذا فإذن كثيرا من مواضع القرآن كانت تثير بعض الأسئلة عند بعض الصحابة فيوجهون بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته . وكان يسأل بعضهم بعضا عن معاني مفردات القرآن الغامضة والآيات بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

ثانيا- التفسير في عهد الصحابة :

كانت مادة التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم قائمة على ما يأتي من الأمور :

1. تفسير القرآن بالقرآن .

2. ما كان يحفظه الصحابة من تفسيرات النبي صلى الله عليه وسلم.

3. ما كانوا يستنبطونه من الآيات: وكان يعتمد ذلك على قوة فهمهم وإدراكهم.

4. ما كانوا يسمعونه من أنباء أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام.

أشهر الصحابة في التفسير :

1. عبد الله بن عباس. 2.عبد الله بن مسعود.

3. علي بن أبي طالب. 4. أبي بن كعب.

5. أبوبكر الصديق. 6. عمر بن الخطاب.

7. عثمان بن عفان. 8. زيد بن ثابت.

9. أبو موسى الأشعري. 10. عبد الله بن الزبير.

وأهم هؤلاء في التفسير الأربعة الأوائل ، وقد تم ترتيبهم حسب أهميتهم في التفسير وكثرة ممارستهم له ، فأوسع الصحابة اشتغالا بالتفسير هو عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

قيمة تفسير الصحابة :

ننظر في التفسير المنقول عن الصحابة :

1. فإن كان مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث ، له حكم الحديث أي يكون حجة إن صح سنده.

2. وإن لم يكن مرفوعا ننظر فيه فإن كان متعلقا بأسباب النزول أو بما لا يكون من قبيل الرأي والاجتهاد أعطي حكم المرفوع وكان حجة إن صح سنده.

3.أما إذا كان من قبيل الاجتهاد والاستنباط أو ليس متعلقا بأسباب النزول كان موقوفا على الصحابي. ويتحصل من ذلك أن التفسير المروي عن الصحابي إن كان متعلقا بأسباب النزول أو بما لا يمكن أن يكون من قبيل الرأي و الاجتهاد كان ملزما ، وكذاك إن كان تفسيرا يعتمد على اللغة التي هم أدرى الناس بها فهو ملزم أيضا .أما الشيء الذي ليس داخلا فيما ذكرناه فهو بشكل عام غير ملزم . وينظر إلى كل رأي على حدة.

مميزات تفسير الصحابة:

اتسم تفسير الصحابة بمميزات متعددة أهمها:

1. انه لم يصلنا عنهم ولا عن بعضهم تفسير كامل للقرآن كله، بل كل ما وصل إلينا تفسير آيات متفرقة.

2. إن الاختلاف بين تفاسير الصحابة في فهم المعنى قليل.

3. إن تفسير الصحابة في الأعم الغالب من نوع التفسير الإجمال المقتصر على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه بأقصر عبارة كتفسيرهم (غير متجانف لإثم) [ المائدة: 3] أي غير متعرض لمعصية، فإن زادوا على ذلك فمما عرفوه من أسباب النزول.

4. إن هذا التفسير الإجمالي المختصر قد اقتصر على تفسير ما غمض على معاصريهم باجتهادهم وإعمال رأيهم فيما لم يجدوا تفسيره في كتاب الله أو لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

5. إن استنباطهم الأحكام الفقهية من الآيات نادر، وانتصارهم للمذاهب في تفسيرهم منعدم نظراً لاتحادهم في العقيدة، ولأن الاختلاف المذهبي لم يتم إلا بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم.

6.انه لم يدون لأحدهم تفسير على وجه الاستقلال لأن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني، وكان تفسيرهم بعضه يُتلقى سماعاً وبعضه يثبت في المصاحف حتى ظن بعض المتأخرين من غير المحققين أنه من وجوه القرآن.

7.اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث، بل كان جزءاً منه وفرعاً من فروعه، ولم يتخذ التفسير له شكلاً منظماً بل كانت هذه التفسيرات تروى منثورة لآيات متفرقة كما كان الشأن في رواية الحديث، فحديث الصلاة بجانب حديث الجهاد، بجانب حديث الميراث، بجانب تفسير آية….وهكذا.

8. اعتمد الصحابة في اجتهادهم على ما توفر لديهم من علم بأسباب النزول، وما أحاط بالقرآن من ظروف متعلقة بأحوال العرب وعاداتهم، وأحوال من حولهم من أهل الكتاب وقت نزول القرآن، إضافة إلى معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها مع ما امتازوا به من قوة الفهم وسعة الإدراك.

ثالثا - التفسير في عهد التابعين :

جاء التابعون فنقلوا روايات التفسير عن الصحابة ، وزادوا فيها ما استنبطوه بأنفسهم ، وما زال التفسير يتضخم في عهدهم حتى اجتمع منه الشيء الكثير.ولكن هذه الأقوال في التفسير لم تكن مجموعة ولا مرتبة بشكل منظم وفق ترتيب المصحف ، بل كانت تروى منثورة تفسيرا لآيات متفرقة بين روايات لا علاقة لها بالتفسير ، أي إن التفسير كان مختلطا بالحديث غير مميز عنه. وكان التابعون من أهل كل قطر يعنون برواية ما سمعوه وما ورد من التفسير عن الصحابي الذي يقيم في بلدهم . فاشتهرت مدارس للتفسير و كان أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون، وأشهر هذه المدارس ثلاث هي:

1- مدرسة التفسير بمكة:

قامت هذه المدرسة على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.وأشهر تلاميذ هذه المدرسة:

‌أ. سعيد بن جبير الأسدي، أبو محمد أو أبو عبد الله، كان حبشي الأصل سمع من أئمة الصحابة، وكان من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه، وهو ثقة حجة، قتله الحجاج سنة (95 هـ) وهو ابن تسع وأربعين سنة وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

‌ب. مجاهد بن جَبْر أبو الحجاج المخزومي المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، أخرج ابن جرير عن سفيان الثوري قال:"إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به" (تفسير ابن جرير،/(1/40)). مات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة.

‌ج. عكرمة، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري، وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير مات سنة أربع ومائة.

2- مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت هذه المدرسة على أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي أبو المنذر وسيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً من فضلاء الصحابة قيل إنه توفي سنة (19 هـ)، وقيل سنة (32هـ)، وأشهر تلاميذ هذه المدرسة:

‌أ. أبو العالية: رُفيع – بالتصغير – بن مهران الرِّياحي، ثقة أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، وهو من كبار التابعين الذين اشتهروا بالتفسير، توفي في سنة تسعين للهجرة.

‌ب. محمد بن كعب القرظي المدني، ثقة، كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً، ولد سنة أربعين ومات سنة عشرين ومائة من الهجرة.

‌ج. زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان من كبار التابعين الذين عُرفوا بالقول في التفسير وهو عالم ثقة توفي سنة ست وثلاثين ومائة من الهجرة.

3- مدرسة التفسير بالعراق

قامت هذه المدرسة على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة. أمَّره عمر بن الخطاب على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وكان أشهر تلاميذ هذه المدرسة:

‌أ. علقمة بن قيس بن عبد الله النَّخَعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة إحدى وستين من الهجرة.

‌ب. عامر بن شراحيل الشَّعبي – بفتح المعجمة – أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل مات سنة تسع ومائة من الهجرة.

‌ج. الحسن بن أبي الحسن (واسمه يسار) البصري، مولى الأنصار، ثقة فقيه فاضل مشهور، مات سنة عشرة ومائة من الهجرة .

قيمة تفسير التابعين:

اختلف العلماء في الأخذ بأقوال التابعين في التفسير ، فمنهم من ذهب على الأخذ بأقوالهم . ومنهم من لم ير ذلك.يروى عن أبي حنيفة أنه قال : " ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس و العين ، وما جاء عن الصحابة تخيرنا ، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال " .وهذا القول يدل على أننا غير ملزمين بأخذ أقوال التابعين فهم رجال ونحن رجال .أما القول الذي يلزم بالأخذ بما ورد عن التابعين فهو موضع نظر .. نعم إذا اجمع التابعون على رأي فعندئذ يتوجب الأخذ به لأن إجماعهم يدل على وجود نص ملزم و الله أعلم.

مميزات التفسير في عهد التابعين:

امتاز التفسير في عهد التابعين بالمميزات الآتية:

1. دخل التفسير كثير من الإسرائيليات، وهي مرويات أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية، كأخبار بدء الخليقة، وأسرار الوجود، وبدء الكائنات، وكثير من القصص، وكانت النفوس ميالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية.
2. استقل التفسير في كتب مستقلة وإن ظل محتفظاً بطابع التلقي والرواية إلا أنه لم يكن تلقياً ورواية بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل كان تلقياً ورواية يغلب عليها طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون – بوجه خاص – بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم.
3. ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي، فظهرت بعض تفسيرات تحمل في طياتها هذه المذاهب.
4. كثر الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين.
5. توسع التفسير، وظهرت تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن ولكل لفظه من ألفاظه.

رابعا- تاريخ التفسير فيما بعد التابعين :

هذه الفقرة تتناول موضوع تاريخ التفسير خلال اثني عشر قرنا ، أي منذ منتصف القرن الثاني الهجري حتى العصر الحاضر ، وليس ذلك مما يتسع له وقت الدراسة ولا منهجها ، ومن أجل ذلك ، فسنقتصر على ذكر خطوط عريضة في غاية الإيجاز.

إن تفسير القرآن الكريم لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ولن يتوقف كذلك ما دام هناك عقل يتفكر، وقلب يتذكر.

ويمكننا القول بداية - على ضوء ما تقدم في هذا الصدد - إن تفسير القرآن الكريم مر بمراحل بارزة، حاصل القول فيها كالآتي:

كان تفسير القرآن في بداية الأمر مقصورًا على التناقل عن طريق الرواية فحسب، إذ كان الصحابة رضوان الله عليهم يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيره لبعض الآيات والسور القرآنية...وكان التابعون كذلك يروون عن الصحابة ما كان عندهم من تفسير منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ما اجتهدوا في تفسيره... وواضح من هذا أن التفسير في هذه المرحلة كان يقوم على المشافهة والرواية فحسب . ثم مع بدء مرحلة التدوين عمومًا - والتي يؤرَّخ لها عادة مع بداية النصف الثاني من القرن الهجري الثاني - والبدء بتدوين الحديث خصوصًا، بدأ التفسير يدوَّن ضمن كتب الحديث خاصة، إذ كان يُفرد له باب مستقل ضمن الأبواب التي تشتمل عليها المدونات الحديثة . ومع انتشار التدوين، واستقلال كثير من العلوم، أخذ تدوين التفسير يستقل شيئًا فشيئًا، فبرزت بعض التفاسير المدونة التي فسرت القرآن الكريم تفسيراً كاملاً، وبالسند فيما كان مسنداً. وليس من السهل في هذا السياق معرفة أول من دوَّن تفسير القرآن كاملاً مرتباً... وبعد مرحلة التدوين بالإسناد، جاءت مرحلة التدوين لكن مع اختصار الأسانيد، إذ اقتصر التدوين في التفسير على نقل الأقوال التفسيرية دون إسنادها إلى قائليها، الأمر الذي ترتب عليه ظهور ظاهرتي الوضع، والنقل عن الروايات الإسرائيلية، وبعد تدوين كثير من العلوم وانتشارها؛ كعلم الكلام، وعلوم العربية، وعلم الفلسفة، بدأ التفسير ينحو منحًا جديدًا، إذ دخل في مرحلة التفسير العقلي، التي بدأت بترجيح بعض الأقوال على بعض، اعتمادًا على اللغة العربية، والسياقات القرآنية، واتخذ هذا المنحا من التفسير أشكالاً مختلفة ما بين مقبول ومرفوض . لقد كان من ملامح هذه المرحلة تنوع التفاسير، وَفْقَ تنوع الاختصاصات العلمية؛ وهكذا وجدنا بعض التفاسير يغلب عليها الجانب اللغوي على غيره من الجوانب، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب الفلسفي، وقسم ثالث يطغي فيه الجانب الفقهي على ما سواه...وهكذا في باقي الاختصاصات .

وعلى الرغم من كل هذا التطور والتغير، لا يمكن القول إن التفسير بالمأثور لم يعد له وجود، بل إن الصحيح والواقع أن هذا التوسع في التفسير العقلي - إن صح التعبير - لم يلغِ التفسير بالمأثور، بل أصبح كل منهما موازيًا للآخر ومكملاً له .

وإضافة لما تقدم ذكره، كان من ملامح هذه المرحلة بدء الكتابة بعلوم القرآن كموضوعات مستقلة؛ كمجاز القرآن، ومفردات القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن، وأسباب النـزول، وأحكام القرآن، وما أشبه ذلك من موضوعات قرآنية، فصَّلت كُتب علوم القرآن القول فيها . لكن يلاحظ أن سعة تلك الجهود التفسيرية دفعت من جاء بعدُ إلى العكوف على الاختصار أو التعليق أو التتبع لجهود السابقين، وانحسرت جهود التأليف والإبداع، وترافق ذلك مع ما سمِّي في التاريخ الإسلامي بمرحلة الانحطاط والتقليد والركون إلى جهود من سبق، وسادت مقولة: ليس بالإمكان أفضل مما كان !!وبدخول عصر النهضة الحديثة، وصعود ما أُطلق عليه ظاهرة "الصحوة الإسلامية" وما شهده هذا العصر من تطورات على الأصعدة كافة، بدأت تظهر العديد من الجهود الإبداعية في مجال تفسير القرآن الكريم؛ فكان من ملامح هذه المرحلة ظهور التفسير الموضوعي للقرآن، أي تفسير القرآن الكريم حساب موضوعات معينة، كموضوع الأخلاق، وموضوع العلم، ما أشبه ذلك . وكان من ملامح هذه المرحلة كذلك ظهور التفسير العلمي للقرآن الكريم . ولا ريب أن هذا التنوع والتعدد في الجهود المبذولة لتفسير القرآن الكريم أمر محمود ومشروع، ما دام مضبوطًا بضوابط الشرع وموجهاته؛ وهو في حد ذاته دليل على إعجاز هذا الكتاب، ودليل - من ثَمَّ - على خلوده وتجدد عطائه بتجدد الفكر الذي يتعامل معه ويتوجه إليه .

**الوحدة عشرون**

**اتجاهات التفسير**

ظهرت اتجاهات متعددة في التفسير . وغرضنا في هذه الوحدة بحث أهم هذه الاتجاهات ودراسة خصائصها . وسنخص بالذكر و الدراسة في كل اتجاه كتابا هاما من كتب التفسير يمثل هذا الاتجاه. والاتجاهات التي سنفرد لكل واحد منها باب فهي الاتجاه اللغوي . و التفسير بالأثر ، والتفسير بالرأي ، والتفسير العلمي ، و التفسير الإصلاحي ، و سنشير بعد ذلك اتجاهات أخرى مثل التفسير الموضوعي و الفقهي و الإشاري . وليس من شك في أن أهم هذه المدارس التفسيرية مدرستان قامتا منذ وقت مبكر هما مدرسة التفسير بالمأثور ومدرسة التفسير بالرأي.

اولا- الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم :

إن هذا الاتجاه من أقدم الاتجاهات التي وجدت في التفسير ، وهو ينقسم على ثلاثة أقسام كما يأتي :

1. القسم الأول : ما يتعلق بمفردات اللغة هو ما عرف بغريب القرآن ، مثل كتاب (غريب القرآن) لأبن قتيبة.

2. القسم الثاني : ما يتعلق بالنحو و القضايا الإعرابية. مثل كتاب (معاني القرآن) للفراء وكتاب ( البحر المحيط ) لأبي حيان.

3. القسم الثالث : ما يتعلق بالبلاغة و الأساليب البيانية. مثل كتاب (الكشاف ) للزمخشري ، و كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب.

ولعل هذا الاتجاه بأقسامه هذه من أهم الاتجاهات التي تعني دارسي العربية في دراستهم للتفسير لاتصالها بدراستهم الاختصاصية.

ثانيا- التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور اتجاه من أهم اتجاهات التفسير وأجدرها بالعناية ، وهو أقدم هذه الاتجاهات. والمقصود منه : أن تفسر الآية من آيات القرآن الكريم بما يأتي :

1. بما جاء في القرآن نفسه في موضع آخر ورد فيه معنى هذه الآية .

2. وبما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير.

3. وبما نقل عن الصحابة والعدول من التابعين مما يتصل بشرح الآية .

هل تفسير الصحابة و التابعين من المأثور؟؟ :

اختلف العلماء في عد تفسير الصحابة والتابعين من المأثور ، فمنهم من عده مأثورا ، ومنهم من لم يعده كذلك . غير أن معظم كتب التفسير بالمأثور تورد منه الكثير .ولعل الرأي الصحيح هو أن ما جاء عن الصحابة و التابعين العدول فيما ليس من باب الاجتهاد والاستنباط وإنما هو متوقف على السماع من النبي صلى الله عليه وسلم يعد من التفسير بالمأثور ، وهو ملزم إن صح سنده. وأما الأقوال المنقولة عنهم مما يتصل بالاجتهاد والاستنباط فليست من التفسير بالمأثور.

متى يقبل التفسير بالمأثور ؟؟

إن التفسير بالمأثور – فيما عدا التفسير بالقرآن بطبيعة الحال – يقبل إن صح سنده هذا الأثر المفسر للآية ، ويلزمنا الأخذ به. وأما إذا كان سنده واهيا فلا شك في رده . فإن علينا لنحكم على أثر بالقبول أو الرد أن ننظر في رجال سنده لنعرف درجته .ومن اشهر كتب التفسير بالمأثور تفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن- لابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري)

ثالثا- التفسير بالرأي :

قام خلاف شديد بين العلماء في مسألة التفسير بالرأي فمنعه البعض و أجازه البعض أما المانعون فقد ذهبوا إلى حظره وتحريمه ، و استدلوا على ذلك بأدلة أهمها :

1. قالوا إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم ، وهو غير جائز.
2. .واستدلوا بالآية الكريمة " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" وفهموا من الآية أن البيان للرسول ، وليس لغيره إلا أن ينقل قوله بعد تحري ما صح.
3. واستدلوا بالحديث : " اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم . فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " .
4. واستدلوا بامتناع كثير من الصحابة و السلف من القول في تفسير القرآن ، كأبي بكر رضي الله عنه وسعيد بن المسيب و الشعبي و الأصمعي .

وأما المجيزون فقد ناقشوا هذه الأدلة وبينوا أنها لا تنطبق عليهم كما يأتي :

1.قالوا ليس في التفسير بالاجتهاد قول على الله بغير علم . و إنما هو استخدام العقل في فهم كتاب الله العظيم واحتجوا بالحديث المشهور عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذا عندما بعثه لليمن فقال معاذ : اجتهد رأيي . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره و قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله.

2.وأجابوا عن الاستدلال بالآية " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" بأن في الذي ورد بيانه عنه صلى الله عليه وسلم كفاية عن كل تفسير ، وأما الذي لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم بيانه ففيه مجال لأن يعمل أهل العلم الأكفاء تفكيرهم فيه ويقفوا على أسراره.

والقول الحق في هذه المسألة و الله أعلم أن التفسير بالرأي ضمن الحدود التي قررها العلماء من التمكن و القدرة و العلم يعد جائز ويجب قبوله و إقراره ، وهو الشيء الطبيعي الذي يقتضيه التفاعل مع كتاب الله عز و جل واستنطاقه في شؤوننا المعاصرة. و من أهم كتب التفسير بالرأي تفسير الرازي و تفسير النسفي وتفسير البيضاوي.

رابعا- التفسير العلمي :

من مدارس التفسير التي شاعت في هذا العصر ما يدعى " التفسير العلمي" وللتفسير العلمي جذور في ثقافتنا التفسيرية القديمة ، ونستطيع أن نعد الغزالي في " الإحياء" و " جواهر القرآن" و " القسطاس المستقيم" و " الرازي في " مفاتيح الغيب" من أوائل الباحثين فيه وقد سار في هذا السبيل السيوطي حيث عقد بابا في " الإتقان" تحدث فيه عن العلوم المستنبطة من القرآن.ولكننا في مطلع القرن الهجري الرابع عشر نرى هذا اللون من التفسير قد راج ونما ، وتوسعت أرجاؤه وتعددت ، وتخصص فيه بعض المؤلفين .

و التفسير العلمي هو تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية ، و الربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية و الفلكية و الفلسفية. ومن أبرز من ألفوا في هذا المجال هو الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره (جواهر القران ) .

واعترض بعض المفسرين على هذا اللون من التفسير بالقول أن هذا الاتجاه من التفسير غير سديد ، وذلك لأن العلم في تغير مستمر وفي تبدل دائم فهو لا يثبت على حال على الإطلاق , فقد تظهر حقيقة علمية اليوم و يأتي من يبطلها ويثبت ضدها غدا , فكيف يمكن لنا أن نحكم نظريات و فرضيات علمية غير ثابتة و غير مستقرة في كتاب الله عز و جل الذي لا يأته الباطل من بين يديه و لا من خلفه , إن القرآن الكريم أكبر وأجل من كل تلك العلوم والنظريات والتجارب.ولكننا نقول لا بأس بهذا اللون من التفسير اذا كان التفسير بالحقائق العلمية الثابتة و كانت الاشارة على جهة التلميح لا الجزم للنظرية العلمية ويمكن عد هذا الوجه من التفسير بابا من ابواب الدعوة الى الله في عصرنا الحضر عصر الكشوفات العلمية ، كما ينبغي الاخذ بنظر الاعتبار ان القران الكريم قد اشار الى حقائق تتعلق بالكون و خلق الانسان و غير ذلك و لا يمكن ان تكون هذه الاشارات عابرة من غير الوقوف على حقائقها ولكن ان لا نتكلف في ذلك ونحمل النص ما لا يتحمله كما فعل بعض المفسرين و الباحثين المعاصرين و الله اعلم .

خامسا- المنحى الإصلاحي الاجتماعي في التفسير :

كان العالم الإسلامي في القرون المتأخرة ينطوي على كثير من عوامل الضعف و التخلف , وكان الجهل بأحكام الإسلام ومفاهيمه من جهة ، واستحكام العادات المحلية من جهة أخرى ، من أبرز ما يميز الوضع الاجتماعي و الفكري لهذا العالم .ونستطيع أن نلخص واقع العالم الإسلامي في القرون الأخيرة : الثاني عشر و الثالث عشر والرابع عشر بما يأتي :

1. كانت العادات و التقاليد القومية و المحلية لها قدسية في نفوس الجماهير.

2. كانت البدع و الخرافات وبعض الطقوس الدخيلة تلبس ثوب الدين ، وتخفي وراءه حقيقتها ، وتحجب بمساوئها عظمة الإسلام وعدالته ورفعته.

3. كان للعامة و الغوغاء سلطان كبير ، فلا يجرؤ العلماء على مخالفتهم.

4.أكثر علماء المسلمين يقفون من الحضارة الغربية موقفا سلبيا لا يقتربون منها ولا يأخذون من علومها شيئا.

5.تقاسمت دول أوروبا العالم الإسلامي , وأعدت مخططات ومحاولات لإبعاد المسلمين عن دينهم.

وأصبح العالم الإسلامي يتطلع إلى اتجاه يروم الإصلاح ، حتى كان جمال الدين الأفغاني الذي قام بحركة فكرية هامة ، تصدع بصوت عامر بالإيمان ، ومعتز بالقرآن ، ويدعوا إلى معالجة الفساد الاجتماعي ، وذلك بالرجوع إلى الإسلام الحق ، فكان من ذلك الاتجاه إلى إصلاح المجتمع من خلال تفسير آيات القرآن الكريم ، وقام عدد من العلماء بحمل هذه المهمة مهمة التفسير الإصلاحي الاجتماعي للقرآن منهم الأفغاني ومحمد عبده و السيد محمد رشيد رضا رحمهم الله جميعا .

**الوحدة الحادية والعشرون**

**اتجاهات أخرى في التفسير**

هناك اتجاهات أخرى سنكتفي بالإشارة إليها وهي :

1. التفسير الموضوعي :

وهذا اللون من التفسير يتناول موضوعا واحدا في القرآن ، يعمد المفسر فيه إلى ذكر الآيات المتعلقة بهذا الموضوع ، ويشرحها ويفصل القول فيها ، ككتب " مجاز القرآن" وهي عديدة أهمها للشريف الرضي و العز بن عبد السلام. ككتاب " التبيان في أقسام القرآن" لأبن القيم وككتاب " الإنسان في القرآن" لعباس محمود العقاد.

1. التفسير الإشاري : وهو التفسير الذي يعتمد الإشارة و يستنبط من الكلمة أو الجملة استنباطات كثيرة ، وقد برع المتصوفة في هذا التفسير ومنه المحمود و المذموم .

3. التفسير الفقهي : وهو التفسير الذي يولي موضوع الأحكام الفقهية عناية خاصة ، وفيها يجمع المفسر الآيات المتصلة بالأحكام و قد اصطبغ هذا المنهج بالصبغة المذهبية فظهرت عند اصحاب المذاهب المختلفة تفاسير تحمل مسمى الاحكام مثل تفسير احكام القران للجصاص الحنفي و احكام القران لابن عربي المالكي و الجامع لأحكام القران للقرطبي و غير ذلك كثير.

**الوحدة الثانية والعشرون**

**أصول التفسير**

أصول التفسير مبحث مهم تفرقت موضوعاته في مقدمات بعض المفسرين وفي كتب أصول الفقه وسنلمس في هذه الوحدة اهم هذه الاصول في النقاط الثلاث الآتية

(أ): العلوم التي لابد من تحصيلها ليتسنى لنا أن نفسر القرآن.

(ب) :الشروط الواجب توفرها في المفسر .

(ج) : أهم قواعد أصول التفسير.

أولا- العلوم التي يحتاج إليها المفسر :

1. اللغة و الاشتقاق :

لأننا باللغة نعرف معاني المفردات ، وفهم حقائق الألفاظ المفردة يكون باستقصاء المعاني التي دلت عليها هذه الكلمة في آيات القرآن .

2. النحو و الصرف :

لأن المعنى يتوقف في أحيان كثيرة على معرفة الإعراب ، ويقع الذين يجهلون هذين العلمين ويتصدون للتفسير في أغلاط شنيعة .

3.الأدب و علوم البلاغة : ذلك لأن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير ، فلا بد من إشارة إلى نواحي الجمال الفني في الآية وتحليلها .

4. علوم القرآن :

ذلك لأن معرفة هذه العلوم من أهم الأدوات التي لا بد منها لعملية التفسير . فمعرفة أسباب النزول تساعد كثيرا على فهم الآيات الفهم الصحيح الدقيق . وكذلك معرفة المكي و المدني تعين في إدراك معاني الآيات , وكذلك هو الحال في معرفة الناسخ والمنسوخ فإنه لها أهميتها القصوى في تفسير الآيات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد . وكذلك فالمحكم و المتشابه من الأمور الأساسية في التفسير ، حتى نتخلص من عناء الدخول في متاهات المتشابه ، و لنصرف جهدنا وطاقاتنا في تفسير المحكم .

5. علوم أصول الدين والتوحيد :

وذلك لأن هذا الكتاب الكريم يتضمن نظرة جديدة إلى الكون و الحياة و الإنسان متمثلة في العقيدة الإسلامية ، فإدراك أصول هذه العقيدة يساعد مساعدة تامة في شرح الآيات الكريمة المتعلقة بذلك .

6. علم أصول القه :

لأننا بواسطة هذا العلم نستطيع أن نعرف استنباط الأحكام من النص ، ووجه الاستدلال على الأحكام .

7. الحديث النبوي والفقه والسيرة :

أما الحديث ففيه تفسير لعدد من آيات القرآن ، إذ كانت مهمة النبي صلى الله عليه و سلم الأولى تبيان ما نزل إليه ، وفيه تفصيل للمجمل وبيان للمبهم .وأما الفقه الإسلامي فإنه يعرض الأحكام الإسلامية التي ذكرها القرآن مبوبة مجموعة ، فيساعد استحضارها على تصور دقيق لمعاني آيات الأحكام .

8. علوم أخرى :

كالعلوم الاجتماعية و العقلية و الكونية وما يتصل بالثقافة العامة ، فالتاريخ و الجغرافيا و الاجتماع وعلم النفس و الفلك ... كل هذه العوم مما يساعد على تفسير القرآن تفسيرا يتصل بحياة الناس.

**الوحدة الثالثة والعشرون**

**الشروط التي يشترطها العلماء في المفسر**

ونستطيع أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام :

1. شروط علمية : وتتلخص بإتقان المفسر قدرا جيدا من العلوم التي ذكرت آنفا .

2. شروط عقلية : وهي أن يكون المفسر موهوبا ذا قدرات عقلية ممتازة ، قوي الاستدلال حسن الاستنباط ، قادرا على الترجيح إن تعارضت الأدلة ، عارفا اختلاف الأقوال على حقيقته .

3.شروط دينية وخلقية :وهي أن يكون صحيح العقيدة ، مؤديا للواجبات الدينية ، ملتزما الآداب والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها الإسلام وأن يكون محررا من سلطان الهوى ، شديد الخشية لله تعالى .

قواعد أصول التفسير :-

سنقتصر هنا على الإشارة إلى أهمها ، لأن محل ذكرها كتب أصول التفسير ذاتها.

من أهم الأصول التي يجب مراعاتها أن تكون خطوات التفسير متدرجة كما يأتي :

1. أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن ، فما أجمل في موضع فإنه قد فصل في موضع أخر، وما أختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان أخر.

2. أن يطلب التفسير من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن موضحة له، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما تصدر منه عن طريق الله : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)، وذكر الله السنة مبينة للكتاب : ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ) ، يعنى السنة . قال الشافعي رضي الله عنه : (كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن) ، وأمثلة هذا في القرآن كثيرة ، جمعها صاحب الإتقان مرتبة مع السور في آخر فصل في كتابه كتفسير السبيل بالزاد والراحلة ، وتفسير الظلم بالشرك ، وتفسير الحساب اليسير بالعرض.

3. فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند انزاله ، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح.

4. فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح،و الحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين، ومن التابعين، من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، والمعتمد في ذلك كله النقل الصحيح، ولهذا قال أحمد: ( ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير) ؛ يعني بهذا التفسير الذي لا يعتمد على الروايات الصحيحة في النقل.

5.ومن القواعد النظر الى اسلوب الخطاب وتصريف القول في القران الكريم من ذلك ما ذكره بعض العلماء من ان الاباحة : (تستفاد من لفظ الإحلال ، ورفع الجناح ، والإذن ، و العفو ، وإن شئت فافعل و إن شئت فلا تفعل ، واسلوب الامتنان بما في الأعيان من المنافع وما يتعلق بها من الأفعال نحو : " ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثا " ونحو " وبالنجم هم يهتدون " ومن السكوت عن التحريم ).

**الوحدة الرابعة والعشرون**

**أهم كتب التفسير واشهرها**

أولاً/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن :مؤلف التفسير: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ولد سنة (224هـ) ت (310 ) هـ.

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. يعد تفسير ابن جرير من أهم كتب التفسير وأجلها وأعظمها: قال النووي: "كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحدٌ مثله". ( تهذيب الأسماء واللغات: 1/78).

2. ينقل أقوال السلف بأسانيدها.

3. جمع بين العقل والنقل، فهو يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ويخوض في الإعراب والاستنباط.

4. اهتم بالمذاهب النحوية والأحكام الفقهية.

5. يذكر في تفسيره الروايات الضعيفة وبعض الإسرائيليات بإسنادها إلى من اشتهر بها وهم: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج، والسدي، وغيرهم ثم لا يتعقب هذه الروايات بالتضعيف لأنه اعتمد منهج المحدثين المقرر في أصول الحديث: من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند، وأحياناً ينتقد رجال السند بتجريح أو تعديل.

6. يقف عند القراءات في الآية القرآنية ويعمل على توجيهها.

ثانياً/ بحر العلوم

مؤلف التفسير:هو الإمام نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، المعروف بإمام الهدى، وهو إمام من أئمة الحنفية، توفي سنة (373 هـ) وقيل سنة (375هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. يعرض للقراءات ويشرح القرآن بالقرآن.

2. يعرض لموهم الاختلاف والتناقض في القرآن ويزيل هذا الإيهام.

3. يذكر العديد من الروايات بإسناده إلى السلف إلا أن غالب ما يذكره في التفسير يذكره بلا إسناد.

4. يروي بعض الإسرائيليات ويخرج من رواية الضعفاء دون تعقيب على هذه الروايات.

5. يجمع هذا التفسير بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية إلا أن جانب النقل هو الغالب مما جعل العديد يصنفونه على أنه من كتب التفسير بالمأثور.

ثالثاً/ معالم التنزيل:

مؤلف التفسير:هو الإمام الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، أو ابن الفراء، البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان توفي سنة (516 هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. يفسر الآيات بعبارات واضحة وموجزة.

2. ينقل ما جاء عن السلف في تفسير الآية من غير ذكر الإسناد.

3. ينقل في تفسيره بعض الإسرائيليات والأخبار الواهية، فعند الآية (12) من سورة المائدة يقول عن أحد الجبارين في الأرض المقدسة "وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله" (معالم التنزيل: 2/20).

4. يرى بعض العلماء أن تفسير البغوي قد اختصره مؤلفه من تفسير الثعلبي الموسوم ب "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه.

رابعاً/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:

مؤلف التفسير: محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، المعتزلي الحنفي الملقب بجار الله، وقد لقب بذلك لأنه سافر إلى مكة وجاور الحرم زمناً، ولد سنة (467 هـ) في قرية زمخشر من قرى خوارزم وتوفي سنة (538هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. صنفه مؤلفه وفق مذهب الاعتزال، وفسر الآيات التي فيها خلاف على طريقة المعتزلة.

2. أبان فيه مؤلفه جمال النظم القرآني وسحر بلاغته، وهو من خير الكتب التي يرجع إليها في التفسير من الناحية البلاغية.

3. خلا التفسير من الحشو والتطويل، وصدر الروايات الإسرائيلية القليلة التي أوردها في تفسيره بلفظ روي المشعر بالضعف، أو أنه يفوض علمها إلى الله، وأحياناً ينبه على درجة الرواية من الصحة.

4. سلك مؤلفه في تصنيفه طريق السؤال والجواب، فهو يقول عند عرض المسألة: فإن قلت، ثم يجيب هو عن هذا السؤال بقوله: قلتُ.. ويذكر الجواب.

5. عرض مؤلفه للقراءات الشاذة، وتهجم على بعض القراءات المتواترة.

6. عرض المسائل الفقهية المتعلقة بالآيات القرآنية بدون توسع ولا تعصب لمذهبه الحنفي.

7. اظهر مؤلفه وجه التناسب والترابط بين الكثير من جمل الآيات.

خامساً/المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

مؤلف التفسير:هو الإمام القاضي الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، وهو من قضاة الأندلس المشهورين، كان عارفاً بعلوم الحديث والتفسير واللغة والأدب، وهو من أعيان مذهب المالكية، توفي سنة ( 541هـ) وقيل سنة (546 هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. يفسر القرآن بالقرآن.

2. لخص ابن عطية تفسيره هذا من كتب التفسير بالمنقول واكثر ما يختار منه من تفسير الطبري، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، وقد يعرج بالرد على رواية والانتقاد لمنقول.

3. يعد هذا الكتاب جامعاً ودقيقاً للعلوم المختلفة المتعلقة بكتاب الله، فمن المفسرين من اهتم باللغة، وآخر بالأحكام، وثالث بالفلسفة وعلم الكلام…الخ، إلا أن هذا التفسير جاء جامعاً دقيقاً وافياً.

4. خلا من الإسرائيليات.

5. لم يكثر مفسره من إيراد وجوه الإعجاز البياني.

6. كان لمؤلف التفسير شخصية واضحة المعالم في تفسيره، فهو يرجح الأقوال عن قوة واقتدار.

سادساً/ مفاتيح الغيب:

مؤلف التفسير:هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين، وعرف بابن الخطيب، والرازي نسبة إلى الري في العراق – على غير قياس – وكان إماماً في المذهب الشافعي، وإمام عصره في العلوم العقلية، وكان عالماً بالتفسير واللغة، توفي سنة ( 606 هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. لم يتم الرازي تأليف تفسيره بل على الأرجح أنه كتب فيه إلى سورة الأنبياء وأتمه من بعده – على الأرجح – نجم الدين المخزومي القمولي.وإن القارئ لهذا التفسير لا يجد تفاوتاً بين المنهج الذي سلكه الرازي ومنهج الذي أتم التفسير، ولا يستطيع التمييز بين الأصل والتكملة.

2. اهتم الرازي ببيان المناسبات بين سور القرآن وآياته، ويبين الحكمة من هذه المناسبة. وبعد أن يبصر القارئ بالوحدة الموضوعية بين الآيات يقول: إعلم أن في الآية مسائل: المسألة الأولى… وقد تبلغ هذه المسائل تسعة أو اقل أو أكثر.

3. يذكر الرازي مذاهب الفقهاء عند مروره بآية من آيات الأحكام ويروج لمذهب الشافعي الذي يتبع له.

4. يكثر الاستطراد إلى العلوم الرياضية والفلكية والفلسفية والطبيعة وغيرها.

5. يعرض – وبكثرة – آراء الفلاسفة والمتكلمين ويتصدى لها بالرد بالنقد والتمحيص ويدحض حججهم.

6. يكاد هذا التفسير يخلو من الإسرائيليات، وقد ذكر العديد منها ثم بين فسادها وبطلانها.

7. يفرع الموضوع إلى مسائل، ويطرح أسئلة ثم يجيب عليها.

سابعاً/ الجامع لأحكام القرآن:

مؤلف التفسير:هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْحْ الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، من كبار المفسرين ومن أعيان المذهب المالكي توفي ( سنة 671 هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. أسقط منه مؤلفه كثيراً من القصص والتواريخ وأثبت عوضاً عنهما أحكام القرآن واستنباط الأدلة.

2. ذكر فيه القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ.

3. أضاف مصنفه الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها.

4. فيه رد على المعتزلة والقدرية والفلاسفة وغلاة المتصوفة.

5. ينقل القرطبي كثيراً عن تفسير ابن عطية، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي، وتفسير ابن جرير الطبري.

6. لم يقتصر القرطبي في تفسيره على آيات الأحكام فقط بل إن تفسيره شامل لما يتعلق بالآية فهو يقدم ذكر سبب النزول، ثم يذكر القراءات ووجوه الإعراب فيها، ثم يشرح الغريب من الأقوال، وبعد هذا يبدأ ببيان الأحكام ويفيض في ذكر مسائل الخلاف وما يتعلق بها من قريب أو بعيد مع بيان أدلة كل فريق.

ثامناً/ البحر المحيط:

مؤلف التفسير:الإمام أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، أبو عبد الله، الشهير بأبي حيان توفي سنة (745هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

تكلم أبو حيان في مقدمة تفسيره عن المنهج الذي سلكه في تفسيره وهو يتلخص فيما يأتي :

1. ابتدأ الكلام عن مفردات الآية التي يفسرها لفظة لفظة مبيناً ما يتعلق بها من النحو والتصريف.

2. ذكر ما يتعلق بالآية المراد تفسيرها من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ومناسبتها لما قبلها.

3. ذكر القراءات المتعلقة بالآية، الصحيحة منها والشاذة مع توجيهها.

4. ذكر أقوال السلف والخلف في تفسير الآية.

5. نقل أقوال الفقهاء الأربعة فيما يتعلق بالأحكام الشرعية.

6. يُتْبع مجموعة الآيات التي تم تفسيرها بما ورد فيها من علم البيان والبديع.

7.وقد طغى على هذا التفسير اهتمام مؤلفه بالمباحث النحوية، وأخذ أبو حيان كثيراً عن تفسير الزمخشري وناقشه في العديد من المسائل.

تاسعاً/ تفسير القرآن العظيم:

مؤلف التفسير:عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي ابن كثير البصري ثم الدمشقي المحدث الشافعي، كان فقيهاً ومحدثاً ومؤرخاً ومفسراً، انتشرت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته، توفي بدمشق عام (774هـ)

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. يعد تفسير ابن كثير من أصح كتب التفسير بالمأثور إن لم يكن أصحها، التزم مؤلفه فيه تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يجد فإنه يفسر الآية بالسنة، فإن لم يجد في الكتاب والسنة ما يفسر الآية فسرها بأقوال الصحابة ثم أقوال التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

2. إن لم يجد ابن كثير تفسيراً للآية من المأثور فإنه يلجأ إلى بيان رأيه واجتهاده.

3. يبدأ ابن كثير في تفسيره للسورة ببيان فضلها ومكان نزولها ثم بيان عدد آياتها.

4. يقسم السورة إلى مجموعات يفسر كل مجموعة على حدة.

5. اعتمد ابن كثير على تفسير الطبري ونقل عن غيره، ولم يكن مجرد ناقل بل كان مدققاً محققاً يناقش ما ذكره المفسرون يصوب كلاماً ويرد ما يراه ضعيفاً.

6. اعتنى بإيراد قصص الأنبياء.

7. مع أن تفسيره احتوى الكثير من الأحاديث والروايات إلا أن ابن كثير لم يوردها على علاَّتها بل كان يبين صحيحها من سقيمها، فيبين علات السند وشواهد المتن بأسلوب المحدث البصير.

8.لم يهتم ابن كثير ببيان إعجاز القرآن وأسرار نظمه وبديع تأليفه.

عاشراً/تفسير الجلالين:

مؤلفا التفسير: هذا التفسير لعالمين جليلين عاشا في وقتين متتالين هما: جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي، كان علامة آية في الفهم والذكاء واسع العلوم، ولد بمصر سنة (791هـ)، وتوفي سنة (864هـ) والآخر هو: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كان صاحب ذاكرة قوية، تتلمذ على كثير من المشايخ، بلغت مؤلفاته أكثر من خمسمائة مؤلف، ولد سنة (849هـ) وتوفي سنة (911هـ).

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفيه فيه:

1. اشترك الجلالان في التفسير وقد تميز بأنه غاية في الاختصار والإيجاز.

2. ابتدأ جلال الدين المحلي تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ بتفسير سورة الفاتحة ووافته المنية بعد أن أتمها.

3. أكمل جلال الدين السيوطي ما شرع به المحلي ففسر ابتداءً بسورة البقرة وانتهى عند آخر سورة الإسراء في أربعين يوماً، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي لتكون ملحقة به. قال السيوطي بعد أن أتم تفسير سورة الإسراء: "هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الذي ألفه الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جهدي وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول". (تفسير الجلالين: ص: 386).

4. اعتمد المحلي في تفسيره أرجح الأقوال ونبه على القراءات المشهورة بأوجز عبارة وأعرب ما احتاج إلى إعراب، وقد سار السيوطي على خطوات المحلي حتى أن القارئ لا يكاد يجد فرقاً بيناً واضحاً بين طريقة الجلالين فيما فسراه إلا في مواضع قليلة جداً. وقد صرح السيوطي أن ما وضعه مقتبس من وضع المحلي ومستفاد منه، وأشار إلى انه لم يخالفه إلا في مواضع يسيرة جداً. (تفسير الجلالين: ص: 386).

أحد عشر/ تفسير القرآن الحكيم، المشهور ب ( تفسير المنار):

مؤلف التفسير:محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، كان تلميذاً في مدرسة الإمام محمد عبده، وقد أفاد منه كثيراً ووظف أفكاره ودروسه التي كان يلقيها في تفسيره هذا، وهو صاحب مجلة المنار التي كانت منبراً للفكر والإصلاح الاجتماعي في مصر، توفي سنة (1354هـ) ودفن بالقاهرة.

التعريف بالتفسير ومنهج مؤلفه فيه:

1. لم يكمل السيد محمد رشيد رضا تفسير المنار بل أتم تفسيره إلى الآية (101) من سورة يوسف حيث ينتهي الجزء الثاني عشر من القرآن الكريم، وتوفي بعد ذلك.

2. اعتنى بتعزيز التفسير بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يستعين بأقوال السلف من الصحابة والتابعين.

3. جنب تفسيره الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات، وعنف المفسرين الذين زجوا تفسيرهم بالإسرائيليات، ومع أنه لم ينقل الإسرائيليات المدونة في كتب التفسير إلا أنه كثيراً ما ينقل عن الكتاب المقدس أخباراً وآثاراً يفسر بها بعض مبهمات القران، أو يرد بها على أقوال بعض المفسرين.

4. حاول علاج أمراض المجتمع في عصره، وإيجاد حلول لمشاكله من خلال التفسير القرآني.

5. نهج في تفسيره منهجاً أدبياً اجتماعياً كشف عن بلاغة القرآن وإعجازه.

6. وفَّق بين القرآن وما أثبته العلم الحديث من حقائق.

7. دافع عن الإسلام والقرآن وكشف عما أحاط بهما من شكوك ومشاكل.